

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة يس

وهي مَكِّيَّةٌ بإجماع، وهي ثلاثٌ وثمانون آيةً، إلا أنَّ فرقةً قالت: إنَّ قوله تعالى ﴿وَنَكَّسْتُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾ [الآية: ١٢] نزلت في بني سَلَمَةَ من الأنصار حين أرادوا أن يتركوا ديارهم، ويتقلوا إلى جوارِ مسجدِ الرسول ﷺ، على ما يأتي<sup>(١)</sup>.

وفي كتابِ أبي داودَ عن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ قال: قال النبي ﷺ: «اقرأوا يس على موتاكم»<sup>(٢)</sup>.

وذكر الأَجْرِيُّ من حديثِ أُمِّ الدَّرْدَاءِ عن النبي ﷺ قال: «ما مِن مَيِّتٍ يُقْرَأُ عَلَيْهِ سورةُ يسَ إلاَّ هَوَّنَ اللَّهُ عَلَيْهِ»<sup>(٣)</sup>.

وفي «مسند» الدَّارِمِيِّ عن أبي هريرةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ سورةَ يسَ في ليلةٍ ابتغاءَ وَجْهِ اللَّهِ؛ عُفِّرَ لَهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ»<sup>(٤)</sup>. خرَّجه أبو نعيم الحافظُ أيضاً<sup>(٥)</sup>.

(١) ص ٤٢٠-٤٢١ من هذا الجزء، والكلام من المحرر الوجيز ٤/٤٤٥.

(٢) سنن أبي داود (٣١٢١)، وسلف ٥/٤٤٩، وذكرنا ثمة قول الدارقطني: هذا حديث ضعيف الإسناد، مجهول المتن، ولا يصح في الباب حديث. اهـ. وأورده ابن حبان في صحيحه (٣٠٠٢) وقال: قوله: «اقرأوا على موتاكم يس»: أراد به من حَضَرَتْهُ المَيِّتَةُ، لا أنَّ المَيِّتَ يُقْرَأُ عَلَيْهِ، وكذلك قوله ﷺ: «لَقِّنُوا موتاكم لا إله إلا الله». وأخرج أحمد في المسند (١٦٩٦٩) عن أبي المغيرة، عن صفوان قال: حدثني المشيخة أنهم حضروا عُضيفَ بن الحارث التُّمَالِي حين اشتدَّ سَوْقُهُ، فقال: هل منكم أحدٌ يُقرأُ «يس»؟ قال: فقرأها صالح بن شريح السُّكُونِي، فلما بلغ أربعين منها قُبِضَ. قال: وكان المشيخة يقولون: إذا قرئت عند المَيِّتِ خُفِّفَ عَنْهُ بِهَا. وحسَّنَ إسناده هذا الأثر الحافظ ابن حجر في الإصابة (ترجمة عُضيف).

(٣) سلف ٥/٤٤٩، وينظر الكلام عليه هناك.

(٤) سنن الدارمي (٣٤١٧) وهو من طريق الحسن عن أبي هريرة به، والحسن لم يسمع من أبي هريرة، كما في المراسيل لابن أبي حاتم ص ٣٨. وأخرجه ابن حبان (٢٥٧٤) من طريق الحسن عن جندب بن عبد الله عن النبي ﷺ. قال أبو حاتم كما في المراسيل ص ٤٢: لم يصح للحسن سماع من جندب. اهـ. وسئل الدارقطني عن حديث الحسن عن أبي هريرة فقال: اختلف فيه على الحسن... وليس فيها شيء ثابت. العلل ١٠/٢٦٧ - ٢٦٩.

(٥) حلية الأولياء ٢/١٥٩.

وَرَوَى الترمذِيُّ عن أنسٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْبًا، وَقَلْبُ الْقُرْآنِ يَسٌ، وَمَنْ قَرَأَ يَسَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِقِرَاءَتِهَا قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ عَشْرَ مَرَّاتٍ» قال: هذا حديثٌ غريبٌ، وفي إسناده هارونُ أبو محمدٍ شيخٌ مجهولٌ، وفي الباب عن أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ، ولا يصحُّ حديثُ أبي بكرٍ من قِبَلِ إسناده، وإسناده ضعيفٌ<sup>(١)</sup>.

وعن عائشة أن رسولَ الله ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْقُرْآنِ لَسُورَةً تَشْفَعُ لِقَارِئِهَا وَيُغْفَرُ لِمُسْتَمِعِهَا، أَلَا وَهِيَ سُورَةُ يَسَ، تُدْعَى فِي التَّوْرَةِ: الْمُعِمْةُ» قيل: يا رسولَ الله، وما الْمُعِمْةُ؟ قال: «تَعْمُ صَاحِبَهَا بِخَيْرِ الدُّنْيَا، وَتَدْفَعُ عَنْهَا أَوْيَلَ الْآخِرَةِ، وَتَدْعَى: الدَّافِعَةَ، وَالْقَاضِيَةَ» قيل: يا رسولَ الله، وكيف ذلك؟ قال: «تَدْفَعُ عَنْ صَاحِبِهَا كُلَّ سُوءٍ، وَتَقْضِي لَهُ كُلَّ حَاجَةٍ، وَمَنْ قَرَأَهَا عَدَلَتْ لَهُ عَشْرِينَ حَاجَةً، وَمَنْ سَمِعَهَا كَانَتْ لَهُ كَأَلْفِ دِينَارٍ تَصَدَّقَ بِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ كَتَبَهَا وَشَرِبَهَا أَدَخَلَتْ جَوْفَهُ أَلْفَ دَوَاءٍ، وَأَلْفَ نَوْرٍ، وَأَلْفَ يَقِينٍ، وَأَلْفَ رَحْمَةٍ، وَأَلْفَ رَافِيَةٍ، وَأَلْفَ هَدْيٍ، وَنُزِعَ عَنْهُ كُلُّ دَاءٍ وَغُلٌّ» ذكره الثعلبيُّ من حديثِ عائشة<sup>(٢)</sup>، والترمذِيُّ الحكيمُ في «نوادِرِ الْأَصُولِ» من حديثِ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ مُسْنَدًا<sup>(٣)</sup>.

وفي «مسند» الدَّارِمِيِّ عن شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ قال: قال ابنُ عباسٍ: مَنْ قَرَأَ «يَسَ» حِينَ يُصْبِحُ؛ أُعْطِيَ يُسْرَ يَوْمِهِ حَتَّى يُمْسِيَ، وَمَنْ قَرَأَهَا فِي صَدْرِ لَيْلَةٍ أُعْطِيَ يُسْرَ لَيْلَتِهِ حَتَّى يُصْبِحَ<sup>(٤)</sup>.

وذكر النحاسُ عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لكلِّ شيءٍ قلبٌ وقلبُ القرآنِ

(١) سنن الترمذي (٢٨٨٧). وسيأتي حديث أبي بكر ﷺ.

(٢) وذكر ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/٤٤٥ عن عائشة رضي الله عنها منه إلى قوله: «... ألا وهي سورة يس».

(٣) نوادر الأصول ص ٣٢٥ وليس في مطبوعه ذكر الإسناد، وأخرجه أيضاً البيهقي في الشعب (٢٤٦٥)، وابن الجوزي في الموضوعات (٣٥٦)، وأخرجه ابن الجوزي أيضاً (٣٥٥) من حديث أنس ﷺ وقال: هذا الحديث من جميع طرقه باطل لا أصل له.

(٤) سنن الدارمي (٣٤١٩). وشهر بن حوشب؛ قال الحافظ في التقریب: صدوق كثير الإرسال والأوهام.

«يس»، مَنْ قرأها نهاراً كَفَيَّ هَمَّهُ، وَمَنْ قرأها ليلاً غُفِرَ ذَنْبُهُ. وقال شهر بن حَوْشَب: يقرأ أهل الجنة «طه» و«يس» فقط<sup>(١)</sup>. رفع هذه الأخبار الثلاثة المأزودي، فقال: روى الضحاك عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْباً وَإِنَّ قَلْبَ الْقُرْآنِ «يس»، وَمَنْ قرأها في ليلةٍ أُعْطِيَ يُسْرَ تلك الليلة، وَمَنْ قرأها في يومٍ أُعْطِيَ يُسْرَ ذلك اليوم، وَإِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يُرْفَعُ عَنْهُمْ الْقُرْآنُ فَلَا يَقْرَؤُونَ شَيْئاً إِلَّا «طه» و«يس»<sup>(٢)</sup>.

وقال يحيى بن أبي كثير: بلغني أَنَّ مَنْ قرأ سورة يس ليلاً لم يَزَلْ في فرحٍ حتى يُصْبِحَ، وَمَنْ قرأها حين يُصْبِحُ لم يَزَلْ في فرحٍ حتى يُمسي؛ وقد حَدَّثني مَنْ جَرَّبَهَا<sup>(٣)</sup>. ذكره الثعلبي وابن عطية، قال ابن عطية<sup>(٤)</sup>: وَيُصَدِّقُ ذلك التجربة.

وذكر الترمذي الحكيم في «نوادير الأصول» عن عبد الأعلى قال: حَدَّثنا محمد بن الصَّلْت، عن عمرو بن ثابت، عن محمد بن مروان، عن أبي جعفر قال: مَنْ وَجَدَ في قلبه قساوةً فَلْيَكْتُبْ «يس» في جامِ بَزْغَرَانِ ثم يَسْرَبْهُ<sup>(٥)</sup>.

حَدَّثني أبي رحمه الله قال: حَدَّثنا أَضْرَمُ بنُ حَوْشَب، عن بَقِيَّةَ بن الوليد، عن المعتمر بن أشرف، عن محمد بن عليّ قال: قال رسول الله ﷺ: «الْقُرْآنُ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ دُونَ اللَّهِ، وَفَضْلُ الْقُرْآنِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، فَمَنْ وَقَرَ الْقُرْآنَ فَقَدَ وَقَرَ اللَّهَ، وَمَنْ لَمْ يَوْقُرِ الْقُرْآنَ لَمْ يَوْقُرِ اللَّهَ، وَحَرَمَةُ الْقُرْآنِ عِنْدَ اللَّهِ كَحَرَمَةِ

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٨١.

(٢) النكت والعيون ٥/٣٥، ولم نقف عليه عن غيره، وسلف بعضه، وسلف كلام الدارقطني: لا يصح في هذا الباب حديث.

(٣) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (٢١٨).

(٤) في المحرر الوجيز ٤/٤٤٥، والخبر فيه دون قوله: وَمَنْ قرأها حين يصبح...

(٥) نوادر الأصول ص ٣٣٥، وهو مقطوع على أبي جعفر، وهو محمد بن علي. وأخرجه البيهقي في الشعب (٢٤٦٨) من طريق الحسن بن الحسين العرنى عن عمرو بن ثابت به. وعمرو بن ثابت قال فيه ابن معين: ليس بشيء، وقال مرة: ليس بثقة ولا مأمون. وقال النسائي: متروك. الميزان ٣/٢٤٩.

الوالدِ على ولده. القرآن شافعٌ مشفَعٌ، وماجِلٌ<sup>(١)</sup> مصدَّقٌ، فَمَنْ شَفَعَ له القرآنُ شُفِعَ، وَمَنْ مَحَلَّ به القرآنُ صُدِّقَ، وَمَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قاده إلى الجنة، وَمَنْ جعله خَلْفَهُ ساقه إلى النار. وَحَمَلَةُ القرآن هم المحفوفون برحمة الله، الملبسون نورَ الله، المعلمون كلامَ الله، مَنْ والا هم فقد وآلى الله، وَمَنْ عاداهم فقد عادَى الله، يقول الله تعالى: يا حَمَلَةَ القرآنِ استجيبوا لرَبِّكم بتوقير كتابه يَزِدْكم حَبًا ويحبِّبكم إلى عبادِهِ، يدفع عن مستمعِ القرآنِ بَلْوَى الدنيا، و[يدفع عن تالي القرآنِ] بَلْوَى الآخرة، وَمَنْ استمع آيةً من كتاب الله كان له أفضلَ ممَّا تحت العرشِ إلى الثُّخوم، وإنَّ في كتابِ الله لسورةٌ تُدعى العزيزة، ويُدعى صاحبُها الشريف، يومَ القيامةِ تُشَفَعُ لصاحبها في أكثرَ من ربيعةٍ ومُضَرَ، وهي سورة يس<sup>(٢)</sup>.

وذكر الثعلبيُّ عن أبي هريرة أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَنْ قرأ سورةَ يسَ ليلةَ الجمعةِ أصبحَ مغفوراً له»<sup>(٣)</sup>. وعن أنسٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَنْ دخلَ المقابرَ قرأ سورةَ يسَ خَفَّفَ الله عنهم يومئذٍ، وكان له بعددِ حُرُوفِها حسناتٌ»<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَسَ ۝١ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٤ نَزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿يَسَ﴾ في «يس» أَوْجُهُ من القراءات: قرأ أهلُ المدينة والكسائيُّ: ﴿يَسَ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمِ﴾ بإدغامِ النونِ في الواو. وقرأ أبو عمرو والأعمشُ وحمزةُ:

(١) أي: خصم مجادل. النهاية (محل).

(٢) نوادير الأصول ص ٣٣٥ - ٣٣٦، وما سلف بين حاصرتين منه، وأصرم بن حوشب قال فيه يحيى: كذاب خبيث، وقال البخاري ومسلم والنسائي: متروك. الميزان ١/ ٢٧٢.

(٣) وأخرجه أيضاً البيهقي في الشعب (٢٤٧٧) بلفظ: «مَنْ قرأ ليلةَ الجمعةِ «حم» الدخان و«يس» أصبح...» وقال: تفرد به هشام (وهو ابن زياد) وهو ضعيف. اهـ. وقال النسائي: متروك، وقال ابن جبان: يروي الموضوعات عن الثقات. الميزان ٤/ ٢٩٨.

(٤) أخرجه الثعلبي في تفسيره ٨/ ١١٩، وفي إسناده ضعفاء ومجاهيل.

«يس» بإظهار النون<sup>(١)</sup>. وقرأ عيسى بن عمر: «يس» بنصب النون. وقرأ ابن عباس وابن أبي إسحاق ونصر بن عاصم: «يس» بالكسر. وقرأ هارون الأعور ومحمد بن السَّمِيع: «يس» بضم النون، فهذه خمس قراءات<sup>(٢)</sup>.

القراءة الأولى بالإدغام على ما يجب في العربية؛ لأنَّ النون تُدغم في الواو. ومَنْ بيَّن قال: سبيلُ حروفِ الهجاءِ أن يُوقَفَ عليها، وإنَّما يكونُ الإدغامُ في الإدراج.

وذكر سيبويه النصب وجعله من جهتين: إحداهما: أن يكون مفعولاً، ولا يضرُّه؛ لأنَّه عنده اسمٌ أعجميٌّ بمنزلة هابيل، والتقدير: اذكر يس، وجعله سيبويه اسماً للسورة. وقوله الآخر: أن يكون مبنياً على الفتح، مثل: كيف وأين. وأمَّا الكسْرُ فزَعَمَ الفراءُ أنه مشبَّه بقول العرب: جِيرِ لا أَفْعَلُ<sup>(٣)</sup>، فعلى هذا يكون «يس» قَسَماً. وقال ابن عباس<sup>(٤)</sup>.

وقيل: مشبَّهٌ بأمسٍ وحَدَامٍ وهؤلاءِ ورَقاشٍ. وأمَّا الضمُّ فمشبَّهٌ بمنذٍ وحيثُ وقَطُّ، وبالمنادى المُفْرَدِ إذا قلتُ: يا رجلُ، لِمَنْ يقفُ عليه. قال ابن السَّمِيع وهارون: وقد جاء في تفسيرها: يا رجلُ، فالأولى بها الضمُّ.

قال ابن الأنباري: «يس» وقفَ حَسَنٌ لِمَنْ قال: هو افتتاحُ للسورة. ومَنْ قال: معنى «يس»: يا رجلُ، لم يقف عليه<sup>(٥)</sup>.

وروي عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما أنَّ معناه: يا إنسان<sup>(٦)</sup>، وقالوا في

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٨١، وقد قرأ بإدغام النون ورش وأبو بكر وابن عامر والكسائي والباقون من السبعة بإظهارها. التيسير ص ١٨٣، وينظر السبعة ص ٥٣٨.

(٢) تنظر هذه القراءات في القراءات الشاذة ص ١٢٤، والمحتسب ٢/ ٢٠٣.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٨١ - ٣٨٢، وقول سيبويه في الكتاب ٣/ ٢٥٨، وقول الفراء في معاني القرآن ٢/ ٣٧١. وجير بكسر الراء، وقد يتون، وكأين: يمين، أي: حقاً. القاموس (جير).

(٤) أخرجه الطبري ١٩/ ٣٩٨.

(٥) إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٨٥٢.

(٦) أخرجه الطبري ١٩/ ٣٩٨ عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولم تقف عليه عن ابن مسعود. ووقع في (ظ): وروي عن ابن عباس وغيره أن...

قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾ [الصفافات: ١٣٠] أي: على آل محمد.

وقال سعيد بن جبير: هو اسمٌ من أسماء محمد ﷺ، ودليله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. قال السيد الحميري:

يا نفسُ لا تَمَحْضِي بالنُّضْحِ جاهدةً عَلَى المودَّةِ إِلَّا آلُ يَاسِينَ<sup>(١)</sup>  
وقال أبو بكرِ الورَّاقُ: معناه: يا سيدَ البشرِ<sup>(٢)</sup>.

وقيل: إِنَّهُ اسمٌ من أسماء الله؛ قاله مالك. روى عنه أشهبُ قال: سألتُه هل ينبغي لأحدٍ أَنْ يَتَسَمَّى بـ «يس»؟ قال: ما أراه ينبغي؛ لقول الله: ﴿يَسَ وَالْقُرْآنِ الْعَكِيمِ﴾ يقول: هذا اسمي «يس». قال ابن العربي<sup>(٣)</sup>: هذا كلامٌ بديعٌ، وذلك أَنَّ العبدَ يجوزُ له أَنْ يَتَسَمَّى باسمِ الربِّ إذا كان فيه معنىٌ منه، كقوله: عالم وقادر ومريد ومتكلم. وإنما مَنَعَ مالكٌ من التسمية بـ «يس»؛ لأنَّه اسمٌ من أسماء الله لا يُدْرَى معناه، فربَّما كان معناه ينفردُ به الربُّ فلا يجوزُ أَنْ يُقَدِّمَ عليه العبدُ. فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾ [الصفافات: ١٣٠] قلنا: ذلك مكتوبٌ بهجاءٍ فتجاوزُ التسميةُ به، وهذا الذي ليس بمُتَهَجِّجٍ هو الذي تكلمَ مالكٌ عليه؛ لِمَا فيه من الإشكال، والله أعلم. وقال بعضُ العلماء: افتتحَ الله هذه السورةَ بالياء والسَّينِ وفيهما مَجْمَعُ الخيرِ، ودَلَّ الْمُفْتَتِحُ على أَنَّهُ قلبٌ، والقلبُ أميرٌ على الجسدِ، وكذلك «يس» أميرٌ على سائر السورِ، مُشْتَمِلٌ على جميعِ القرآنِ.

ثم اختلفوا فيه أيضاً<sup>(٤)</sup>؛ فقال سعيد بنُ جبيرٍ وعكرمةٌ: هو بلغةُ الحبشة. وقال الشعبيُّ: هو بلغةُ طَبِيعِ.

(١) المحرر الوجيز ٤/٤٤٥. والسيد الحميري هو إسماعيل بن محمد بن يزيد، أبو هاشم، من فحول الشعراء، توفي سنة (١٧٣هـ) وقيل غير ذلك. السير ٨/٤٤.

(٢) تفسير البغوي ٥/٤.

(٣) في أحكام القرآن ٤/١٥٩٦، وما قبله منه.

(٤) قوله: اختلفوا، يعني به الذين قالوا: معناه: يا إنسان، وهو مروى عن الحسن وعكرمة والضحاك وسعيد بن جبير كما ذكر الماوردي في النكت والعيون ٥/٥، والكلام الذي سيأتي منه.

الحسن: بَلُغَةَ كَلْبٍ. الكلبي: هو بالسريانية، فتكلمت به العرب، فصار من لغتهم. وقد مضى هذا المعنى في «طه»<sup>(١)</sup>، وفي مقدمة الكتاب مستوفى<sup>(٢)</sup>.

وقد سرّد القاضي عياض أقوال المفسرين في معنى «يس»، فحكى أبو محمد مكّي أنه رُوِيَ عن النبي ﷺ قال: «لي عند ربّي عشرة أسماء» ذكّر أنّ منها: طه ويس اسمان له<sup>(٣)</sup>.

قلت: ودكّر الماوردي عن عليّ ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنّ الله تعالى سمّاني في القرآن سبعة أسماء: محمد، وأحمد، وطه، ويس، والمزّمّل، والمدثر، وعبد الله»<sup>(٤)</sup> قاله القاضي<sup>(٥)</sup>. وحكى أبو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق أنه أراد: يا سيد<sup>(٦)</sup>، مخاطبةً لنبيّه ﷺ.

وعن ابن عباس: «يس»: يا إنسان، أراد محمداً ﷺ<sup>(٧)</sup>، وقال: هو قسّم، وهو من أسماء الله سبحانه<sup>(٨)</sup>.

وقال الزجاج: قيل: معناه: يا محمد، وقيل: يا رجل، وقيل: يا إنسان<sup>(٩)</sup>.

وعن ابن الحنفية: «يس»: يا محمد<sup>(١٠)</sup>.

(١) ٨/١٤ وما بعدها.

(٢) ١٠٩/١.

(٣) الشفا ٤٤٨/١، وقد سلف الكلام على هذا الحديث ٩/١٤.

(٤) النكت والعيون ٥/٥، وذكره ابن العربي في أحكام القرآن ٤/١٥٩٦ عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال: وهذا حديث لا يصح. قال النووي في تهذيب الأسماء ٤/٢٠٠ بعد أن ذكر الحديث عن الماوردي: قوله: سماني عبد الله، يعني في قول الله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩].

(٥) في الشفا ٤٥٠/١، ووقع في (خ) و(ظ): قال القاضي.

(٦) ذكره القاضي عياض في الشفا ٤٤٩/١.

(٧) الوسيط ٣/٥٠٩، وأخرج الطبري ١٩/٣٩٨ عنه في قوله تعالى: «يس» قال: يا إنسان، بالحشية.

(٨) أخرجه الطبري ١٩/٣٩٨.

(٩) معاني القرآن للزجاج ٤/٢٧٧.

(١٠) النكت والعيون ٥/٥.

وعن كعب: «يس» قَسَمَ أقسم الله به قبل أن يخلق السماء والأرضَ بِالْفِي عام: يا محمد ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

ثم قال: ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ فَإِنَّ قَدْرَ أَنَّهُ مِنْ أَسْمَائِهِ ﷺ، وَصَحَّ فِيهِ أَنَّهُ قَسَمَ، كَانَ فِيهِ مِنَ التَّعْظِيمِ مَا تَقَدَّمَ، وَيُؤَكِّدُ فِيهِ الْقَسَمَ عَظْفُ الْقَسَمِ الْآخِرِ عَلَيْهِ. وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَى النِّدَاءِ؛ فَقَدْ جَاءَ قَسَمٌ آخَرُ بَعْدَهُ لِتَحْقِيقِ رِسَالَتِهِ وَالشَّهَادَةِ بِهَدَايَتِهِ. أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِاسْمِهِ وَكِتَابِهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ بِوَحْيِهِ إِلَى عِبَادِهِ، وَعَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ مِنْ إِيْمَانِهِ، أَي: طَرِيقٍ لَا اعْوَجَاجَ فِيهِ، وَلَا عَدْوَلَ عَنِ الْحَقِّ.

قال النقَّاش: لم يُقَسِّمَ اللهُ تَعَالَى لِأَحَدٍ مِنْ أَنْبِيَائِهِ بِالرِّسَالَةِ فِي كِتَابِهِ إِلَّا لَهُ، وَفِيهِ مِنْ تَعْظِيمِهِ وَتَمَجِيدِهِ عَلَى تَأْوِيلِ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ يَا سَيِّدُ، مَا فِيهِ، وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ»<sup>(٢)</sup>. انْتَهَى كَلَامُهُ.

وحكى القشيري: قال ابن عباس: قالت كفَّارُ قَرِيشٍ: لَسْتَ مُرْسَلًا، وَمَا أَرْسَلَكُ اللهُ إِلَيْنَا، فَأَقْسَمَ اللهُ بِالْقُرْآنِ الْمُحْكَمِ: إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَ الْمُرْسَلِينَ.

و«الحكيم»: الْمُحْكَمُ حَتَّى لَا يَتَعَرَّضَ لِبَطْلَانٍ وَتَنَاقُضٍ، كَمَا قَالَ: ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُنَا﴾ [هود: ١]. وَكَذَلِكَ أُحْكِمَ فِي نَظْمِهِ وَمَعَانِيهِ، فَلَا يَلْحَقُهُ خَلَلٌ. وَقَدْ يَكُونُ «الحكيم» فِي حَقِّ اللهِ بِمَعْنَى الْمُحْكَمِ بِكُسْرِ الْكَافِ، كَالْأَلِيمِ بِمَعْنَى الْمُؤَلِّمِ.

﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أَي: دِينِ مُسْتَقِيمٍ وَهُوَ الْإِسْلَامُ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ<sup>(٣)</sup>: عَلَى طَرِيقِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا، وَقَالَ: «إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ» خَبْرٌ إِنَّ، وَ«عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» خَبْرٌ ثَانٍ، أَي: إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ، وَإِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

وقيل: المعنى: لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى اسْتِقَامَةٍ، فَيَكُونُ قَوْلُهُ: «عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»

(١) أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور ٢٥٨/٥.

(٢) سلف ٢٥٤/٤.

(٣) في معاني القرآن ٢٧٧/٤ - ٢٧٨.

من صِلَةِ المرسلين، أي: إنك لَمِنَ المرسلين الذين أُرسِلوا على طريقةٍ مستقيمة، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . صِرَاطِ اللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣] أي: الصُّرَاطِ الذي أمر الله به.

قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ قرأ ابنُ عامرٍ وحفصُ والأعمشُ ويحيى وحمزةُ والكسائيُّ وخلفُ: ﴿تَنْزِيلٌ﴾ بِنُصْبِ اللامِ على المصدر<sup>(١)</sup>، أي: نَزَلَ اللهُ ذلك تنزيلاً. وأضاف المصدرَ فصار معرفةً كقوله: ﴿فَضْرَبَ الرَّقَابِ﴾ [محمد: ٤] أي: فَضْرَبَا للرِّقَابِ. الباقون: ﴿تنزيلٌ﴾ بالرفع على خبرِ ابتداءٍ محذوفٍ، أي: هو تنزيلٌ، أو: الذي أنزل إليك تنزيلُ العزيزِ الرحيمِ.

هذا وقُرى: «تَنْزِيلٌ» بالجرِّ على البَدَلِ من «القرآن»<sup>(٢)</sup>.

والتنزيلُ يرجعُ إلى القرآن. وقيل: إلى النبي ﷺ، أي: إنك لَمِنَ المرسلين، وإنَّكَ تَنْزِيلُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ. فالتنزيلُ على هذا بمعنى الإرسال؛ قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَكُمْ دِكْرًا . رَسُولًا يَنْلُؤْا﴾ [الطلاق: ١٠-١١] ويقال: أَرْسَلَ اللهُ المَطَرَ وأنزله بمعنى. ومحمدٌ ﷺ رحمةُ الله أنزلها<sup>(٣)</sup> من السماء. وَمَنْ نَصَبَ قال: إنَّكَ لَمِنَ المرسلين إرسالاً من العَزِيزِ الرحيمِ.

و«العزیز»: المنتقم مَمَّنْ خالفه، «الرَّحِيمِ» بأهل طاعته.

قوله تعالى: ﴿لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ ءَابَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَیْ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْتَقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ ءَابَاؤُهُمْ﴾ «ما» لا موضعَ لها من الإعراب عند

(١) السبعة ص ٥٣٩، والتيسير ص ١٨٣، والنشر ٢/ ٣٥٣.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٨٣، والكشاف ٣/ ٣١٤، ونسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٢٤ لليزيدي.

(٣) في (خ): رحمة الله أرسلها. وفي (ظ): رحمة أنزلها الله.

أكثر أهل التفسير<sup>(١)</sup>، منهم قتادة<sup>(٢)</sup>؛ لأنها نفي، والمعنى: لتُنذِرَ قوماً ما أتى آباءهم قبلك نذير.

وقيل: هي بمعنى الذي، فالمعنى: لتنذرهم مثل ما أنذر آباؤهم؛ قاله ابن عباس وعكرمة وقاتدة أيضاً<sup>(٣)</sup>. وقيل: إن «ما» والفعل مصدر، أي: لتنذر قوماً إنذار آباؤهم.

ثم يجوز أن تكون العرب قد بلغتهم بالتواتر أخبار الأنبياء، فالمعنى: لم يُنذروا برسولٍ من أنفسهم. ويجوز أن يكون بلغهم الخير ولكن غفلوا وأعرضوا ونسوا.

ويجوز أن يكون هذا خطاباً لقوم لم يبلغهم خبر نبي، وقد قال الله: ﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤] وقال: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَنَّهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة: ٣] أي: لم يأتهم نبي. وعلى قول من قال: بلغهم خبر الأنبياء، فالمعنى: فهم معرضون الآن متغافلون عن ذلك، ويقال للمعرض عن الشيء: إنه غافل عنه. وقيل: ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ عن عقاب الله.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ﴾ أي: وجب العذاب على أكثرهم ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بإنذارك. وهذا فيمن سبق في علم الله أنه يموت على كفره.

ثم بين سبب تركهم الإيمان فقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ غُمَّةً﴾. قيل: نزلت في أبي جهل بن هشام وصاحبه المخزوميين، وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمداً يُصلي ليرضخن رأسه بحجر، فلما رآه ذهب فرفع حجراً ليرميه، فلما أومأ إليه رجعت يده إلى عنقه، والتصق الحجر بيده؛ قاله ابن عباس وعكرمة وغيرهما، فهو على هذا تمثيل، أي: هو بمنزلة من غلّت يده إلى عنقه. فلما عاد إلى أصحابه أخبرهم بما رأى، فقال الرجل الثاني وهو الوليد بن المغيرة: أنا أروضخ رأسه. فأتاه وهو يصلي

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٨٣.

(٢) أخرجه الطبري ١٩/٤٠١ - ٤٠٢.

(٣) أخرجه عن عكرمة الطبري ١٩/٤٠١، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/٤٤٦، ولم نقف عليه

على حالته ليرميّه بالحجر، فأعمى الله بصره، فجعل يسمع صوته ولا يراه، فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه، فقال: واللّه ما رأيته، ولقد سمعتُ صوته! فقال الثالث: واللّه لأشدّخنّ أنا رأسه. ثم أخذ الحجر وانطلق، فرجع الفهقري ينكص على عقبيه حتى خرّ على قفاه مغشياً عليه. فقيل له: ما شأنك؟ قال: عظيم<sup>(١)</sup>! رأيتُ الرجل، فلمّا دنوتُ منه، وإذا فحلّ يخطرُ بذنّيه؛ ما رأيتُ فحلاً قطّ أعظم منه؛ حال بيني وبينه، فواللّاتِ والعزّى لو دنوتُ منه لأكلني! فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلًا لِّمَا فَعَى إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقرأ ابن عباس: «إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَيْمَانِهِمْ». وقال الزجاج: «وَقُرئ: «إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَيْدِيهِمْ». قال النحاس<sup>(٣)</sup>: وهذه القراءة تفسيرٌ، ولا يُقرأ بما خالف المصحف. وفي الكلام حذفٌ على قراءة الجماعة، التقدير: إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ فِي أَيْدِيهِمْ أَغْلًا لِّمَا فَعَى إِلَى الْأَذْقَانِ، فهي كنايةٌ عن الأيدي لا عن الأعناق، والعربُ تحذفُ مثلَ هذا، ونظيره: ﴿سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] وتقديره: وسرابيل تقيكم البرد، فحذف؛ لأنّ ما وقى من الحرّ وقى من البرد؛ لأنّ الغلّ إذا كان في العنق فلا بدّ أن يكون في اليدين، ولاسيّما وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ فقد علم أنّه يُراد به الأيدي<sup>(٤)</sup> ﴿فَهُمْ مُّقْمَحُونَ﴾ أي: رافعو رؤوسهم لا يستطيعون الإطراق؛ لأنّ مَنْ غلّت يده إلى ذقنه ارتفع رأسه. روى عبد الله بن يحيى: أنّ علي بن أبي طالب عليه السلام أراهم الإقماح، فجعل يديه تحت لحيته وألصقهما ورفع رأسه. قال النحاس<sup>(٥)</sup>: وهذا أجلّ ما روي فيه، وهو مأخوذٌ ممّا حكاه الأصمعيّ؛ قال: يقال:

(١) في (م): قال شاني عظيم.

(٢) بنحوه في سيرة ابن هشام ٢٩٨/١ - ٢٩٩، وتفسير الطبري ٤٠٦/١٩ - ٤٠٧، ودلائل النبوة لأبي

نعيم (١٥٢) و(١٥٣) و(١٥٦)، وإعراب القرآن للنحاس ٣/٣٨٣ - ٣٨٤، وتفسير البغوي ٦/٤.

(٣) في إعراب القرآن ٣/٣٨٤، وما قبله منه، وقول الزجاج في معاني القرآن ٤/٢٧٩.

(٤) في إعراب القرآن: فقد أعلم الله عز وجل أنها يراد بها الأيدي.

(٥) في إعراب القرآن ٣/٣٨٤، وما قبله منه، وخبر علي ﷺ أخرجه مطولاً الطبراني في الأوسط

(٣٩٤٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/١٣١: فيه جابر الجعفي، وهو ضعيف.

أَقْمَحْتُ<sup>(١)</sup> الدابة: إذا جَذَبْتَ لِجَامِهَا لترفع رأسها. قال النحاس: والقاف مُبَدَّلَةٌ من الكاف لِقُرْبِهَا منها. كما يقال: قَهْرْتُهُ وَكَهَرْتُهُ.

قال الأصمعي: يقال: أَكْمَحْتُ الدابَّةَ: إذا جَذَبْتَ عِنَانَهَا حتى يَنْتَصِبَ رَأْسُهَا، ومنه قول الشاعر:

... وَالرَّاسُ مُكْمَحٌ<sup>(٢)</sup>

ويقال: أَكْمَحْتُهَا وَأَكْفَحْتُهَا وَكَبَحْتُهَا، هذه وحدها بلا ألفٍ عن الأصمعي<sup>(٣)</sup>. وَقَمَحَ البعيرُ قُمُوحاً: إذا رفع رأسه عند الحوضِ وامتنع من الشُّرْبِ، فهو بَعِيرٌ قَامِحٌ و[الجمع]: قُمَحٌ؛ يقال: شَرِبَ فَتَقَمَّحَ وَاِنْقَمَّحَ بمعنى: إذا رفع رأسه وترك الشُّرْبَ رِيّاً. وقد قَامَحَتْ إِبْلُكُ: إذا وَرَدَتْ ولم تشرب، وَرَقَعَتْ رَأْسَهَا من داءٍ يكونُ بها أو بردٍ، وهي إِبْلٌ مُقَامِحَةٌ، وبعيرٌ مُقَامِحٌ، وناقَةٌ مُقَامِحٌ أيضاً، والجمع قِمَاحٌ على غير قياس؛ قال بشرٌ يصفُ سفينَةً:

ونحن على جوانبها قُعودٌ نَعُضُّ الطَّرْفَ كالإبلِ القِمَاحِ<sup>(٤)</sup>

والإقماح: رفعُ الرأسِ وغيضُ البصر؛ يقال: أَقْمَحَ العُلُ: إذا ترك رأسه مرفوعاً من ضيقه. وشهراً قِمَاحٌ<sup>(٥)</sup>: أشدُّ ما يكون من البرد، وهما الكانونان، سُمِّيَا بذلك لأنَّ

(١) في إعراب القرآن: أكمحت. وكذا نقله الجوهري في الصحاح (كمح) عن الأصمعي على ما يأتي.

(٢) البيت لذي الرُّمَّة، وهو في ديوانه ١٢٢١/٢، والكلام من الصحاح (كمح)، ورواية البيت في الديوان: تموج ذراعها وترمي بجوزها جذاراً من الإبعاد والرأس مُكْمَحٌ

قال أبو نصر الباهلي شارح الديوان: جَوَزُهَا: وَسَطُهَا. وقوله: تموج ذراعها، يقول: ليست بلازقتين بالجنب. ومُكْمَحٌ: مرفوع. وفي اللسان (كمح): وأراد الشاعر بقوله: الإبعاد، ضربُه لها بالسوط، فهي تجتهد في عَدْوِهَا لخوفها من سوطه.

(٣) الصحاح (كبح). قوله: أكفحت، يقال: أكفحتُ الدابة: إذا تَلَقَيْتُ فاه باللجام تضربه به ليلتقمه. وكبحت الدابة: إذا جَذَبْتَهَا إِلَيْكَ باللجام لكي تقف ولا تجري. الصحاح (كفح) و(كبح).

(٤) ديوان بشر بن أبي خازم ص ٩١، والصحاح (قمح)، والكلام وما سلف بين حاصرتين منه.

(٥) يكتاب وعراب. القاموس (قمح).

الإبل إذا وردت آذاها برد الماء فقامحت رؤوسها<sup>(١)</sup>، ومنه فَمِحْتُ السَّوِيقَ<sup>(٢)</sup>.

وقيل: هو مثلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تعالى لهم في امتناعهم من الهدى كامتناع المغلول [من التصرف]؛ قاله يحيى بن سلام وأبو عبيدة<sup>(٣)</sup>. وكما يقال: فلانٌ حمار، أي: لا يُبْصِرُ الهدى. وكما قال:

لهم عن الرُّشْدِ أَغْلَالٌ وَأَقْيَادُ<sup>(٤)</sup>

وفي الخبر: أن أبا ذؤيبٍ كان يَهْوَى امرأةً في الجاهلية، فلَمَّا أسلم راوَدَّته، فأبى وأنشأ يقول:

فليس كعهدِ الدارِ يا أمَّ مَالِكٍ      ولكن أحاطت بالرقابِ السَّلايِلُ  
وعاد الفتى كالكَهْلِ ليس بقائلٍ      سوى العدلِ شيئاً فاستراح العَوَازِلُ<sup>(٥)</sup>

أراد: مُبْعَنًا بموانع الإسلامِ عن تَعَاطِي الزَّنى والفسق.

وقال الفراء أيضاً<sup>(٦)</sup>: هذا ضَرَبٌ مَثَلٍ، أي: حبسناهم عن الإنفاق في سبيل الله،

(١) الصحاح (قمح) دون قوله: رؤوسها.

(٢) قمح السَّوِيقِ (كسمع): رفع رأسه لسفِّه، والسَّوِيقُ: طعام يُتخذ من مدقوق الحنطة والشعير، سمي بذلك لانسياقه في الحلق. (المعجم الوسيط).

(٣) التكت والعيون ٧/٥، وما سلف بين حاصرتين منه، ولم يذكر أبا عبيدة، ولم نقف على هذا القول في مجاز القرآن لأبي عبيدة.

(٤) البيت للأفوه الأوديّ صلاة بن عمرو بن الحارث، كما في الحماسة البصرية ٦٩/٢، وصدرة: كيف الرشاد إذا ما كنت من نفر، والكلام من إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٨٥.

(٥) البيتان في ديوان الهذليين ١٥٠/٢، وشرح أشعار الهذليين ١٢٢٣/٣ وسيرة ابن هشام ٤٧٣/٢، والكامل ٥٦٥/٢، والبيت الثاني في العمدة لابن رشيق ص ٢٧٨، وقاتلهما أبو خراش وليس أبا ذؤيب كما ذكر المصنف، وقد سلف الأول منهما ١٩٩/٦. قوله: فاستراح العواذل، أي: لأنهن لا يجدن ما يعذِلُنَّ فيه سوى العدل، أي: سوى الحق. وقصة البيتين كما ذكر في المصادر السالفة أن جميل بن معمر الجمحي قتل قريباً لأبي خراش كان في ضمن الأسرى يوم حنين، فقال أبو خراش هذه الأبيات في رثائه، وهذا يخالف ما ذكره المصنف. وقوله: فليس كعهد الدار...، شرحوه أيضاً بخلاف ما سيشرحه فقال ابن رشيق: يقول: نحن من عهد الإسلام في مثل السلاسل، وإلا فكنا نقتل قاتله.

(٦) في معاني القرآن ٣٧٣/٢.

وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقاله الضحاك<sup>(١)</sup>.

وقيل: إنَّ هؤلاء صاروا في الاستكبار عن الحق كَمَن جُعِلَ في يده غُلٌّ فجمعت إلى عنقه، فبقي رافعاً رأسه لا يَخْفُضُه، وغاضاً بصره لا يفتحه. والمتكبرُ يوصف بانتصابِ العنق.

وقال الأزهري<sup>(٢)</sup>: «إِنَّ أَيْدِيَهُمْ لَمَّا غُلَّتْ عِنْدَ أَعْنَاقِهِمْ؛ رَفَعَتِ الْأَغْلَالُ أَدْفَانَهُمْ وَرَوُوسَهُمْ صُعْدَاءً؛ كَالْإِبِلِ تَرْفَعُ رُؤُوسَهَا.

وهذا المنعُ بخلِّ الكُفْرِ في قلوبِ الكُفَّار. وعند قومٍ: بسَلْبِهِم التوفيقَ عقوبةً لهم على كفرهم.

وقيل: الآيةُ إشارةٌ إلى ما يُفَعَلُ بأقوامٍ غداً في النار من وضعِ الأغلالِ في أعناقهم والسلاسلِ، كما قال تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِيَ أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ﴾ [غافر: ٧١] وأخبر عنه بلفظِ الماضي.

﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ تقدّم تفسيره. وقال مجاهد: «مُقْمَحُونَ»: مُغْلَلُونَ عن كلِّ خير<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ قال مقاتل: لما عاد أبو جهلٍ إلى أصحابه، ولم يصل إلى النبي ﷺ، وسقط الحجر من يده، أخذ الحجرَ رجلٌ آخرٌ من بني مخزوم وقال: أنا أقتله بهذا الحجر. فلما دنا من النبي ﷺ؛ طَمَسَ الله على بصره فلم ير النبي ﷺ، فرجع إلى أصحابه فلم يبصرهم حتى نادوه، فهذا

(١) أخرجه الخرائطي في مساوي الأَخلاق (٣٦٢).

(٢) في تهذيب اللغة ٨٢/٤.

(٣) أخرجه عبد الرزاق ١٣٩/٢، والطبري ٤٠٤/١٩ عن قتادة، ولم نقف عليه عن مجاهد.

معنى الآية (١).

وقال محمد بن إسحاق في روايته: جلس عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل وأمية ابن خلف، يُراصدون النبي ﷺ ليبلغوا من أذاه، فخرج عليهم عليه الصلاة والسلام وهو يقرأ «يس» وفي يده تراب، فرماهم به وقرأ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ فأطرقوا حتى مرَّ عليهم عليه الصلاة والسلام (٢). وقد مضى هذا في سورة سبحان (٣)، ومضى في «الكهف» الكلام في «سَدًّا» بضم السين وفتحها (٤)، وهما لغتان.

﴿فَأَعَشَيْنَاهُمُ﴾ أي: غطينا أبصارهم، وقد مضى في أول «البقرة» (٥). وقرأ ابن عباس وعكرمة ويحيى بن يعمر: «فأعشيناهم» بالعين غير مُعجمة (٦) من العشا في العين، وهو ضَعْفُ بصرها حتى لا تُبصر بالليل، قال:

متى تَأْتِهِ تَعَشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ (٧)

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْسُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ الآية [الزخرف: ٣٦]، والمعنى متقارب.

والمعنى: أعميناهم، كما قال:

ومن الحوادث لا أَبَالِكَ أَنَّنِي ضُرِبَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِالْأَسْدَادِ  
لا أهتدي فيها لموضع تَلْعَةٍ بين العُدَيْبِ وبينَ أَرْضِ مُرَادٍ (٨)

(١) ذكره عن مقاتل أبو الليث في تفسيره ٩٣/٣ - ٩٤، وسلف مطولاً ص ٤١٢-٤١٣ من هذا الجزء.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٨٥، وبنحوه في سيرة ابن هشام ١/٤٨٣.

(٣) ٩٢/١٣.

(٤) ٣٨٣/١٣.

(٥) ٢٩١/١.

(٦) القراءات الشاذة ص ١٢٤، والمحتسب ٢/٢٠٤.

(٧) صدر بيت للحطيفة، وعجزه: تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدٍ. وهو في ديوانه ص ١٦١، وسلف ٤/٤٩١.

(٨) البيتان للأسود بن يَغْفَرُ النهشلي كما في المفضليات ص ٢١٦، ومنتهى الطلب من أشعار العرب =

﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ أي: الهدى؛ قاله قتادة<sup>(١)</sup>. وقيل: محمداً حين ائتمروا على قتله؛ قاله السدي<sup>(٢)</sup>.

وقال الضحاك: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ أي: الدنيا ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ أي: الآخرة، أي: عموا عن البعث، وعموا عن قبول الشرائع في الدنيا؛ قال الله تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [فصلت: ٢٥] أي: زينوا لهم الدنيا، ودعّوهم إلى التكذيب بالآخرة، وقيل: على هذا «من بين أيديهم سداً»، أي: اغتروا<sup>(٣)</sup> بالدنيا، «ومن خلفهم سداً» أي: كذبوا<sup>(٤)</sup> بالآخرة. وقيل: «ما بين أيديهم»: الآخرة، «وما خلفهم»<sup>(٥)</sup>: الدنيا.

﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ تقدم في «البقرة»، والآية رد على القدرية وغيرهم<sup>(٦)</sup>.

وعن ابن شهاب: أن عمر بن عبد العزيز أخضر غيلان القدرى فقال: يا غيلان، بلغني أنك تتكلم بالقدر، فقال: يكذبون علي يا أمير المؤمنين. ثم قال: يا أمير المؤمنين، أرايت قول الله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢-٣] فقال: اقرأ يا غيلان، فقرأ حتى انتهى إلى قوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٩] فقال: اقرأ، فقرأ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ فقال: والله يا أمير المؤمنين، إن شعرت أن

= ٤١٥/١ ، والاختيارين ص ٥٥٩ ، وفيه: التلعة: المسيل من الرابية إلى الوادي، والجمع: تلاع.

وقد سلف البيت الأول ٢٢٠/١٣ .

(١) أخرجه الطبري ٤٠٦/١٩ .

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٨/٥ . وأخرجه ابن أبي حاتم، كما في الدر المشور ٢٥٩/٥ .

(٣) في (م): اغتاروا.

(٤) في (م): تكديبا.

(٥) في (م): من بين أيديهم... ومن خلفهم.

(٦) ينظر ما سلف ٢٨١/١ و٢٨٥ .

هذا في كتابِ اللهِ قَطُّ! فقال له: يا غيلان، اقرأ أولَ سورةِ يس، فقرأ حتى بلغ: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فقال غيلان: والله يا أمير المؤمنين، لكأنِّي لم أقرأها قَطُّ قَبْلَ اليوم! اشهد يا أمير المؤمنين أنِّي تائبٌ. فقال عمر: اللهم إن كان صادقاً فثب عليه وثبته، وإن كان كاذباً فسَلِّطْ عليه مَنْ لا يرحمه، واجعله آيةً للمؤمنين. فأخذه هشامٌ فقطع يديه ورجليه وصلبه. قال ابنُ عَوْنٍ: فأنا رأيته مصلوباً على بابِ دمشق، فقلنا: ما شأنك يا غيلان؟ فقال: أصابتنِي دعوةُ الرجلِ الصالحِ عمرَ بنِ عبد العزيز<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ يعني القرآن، وَعَمِلَ بِهِ ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ يَاطَّيِّبٍ﴾ أي: ما غاب من عذابه وناره؛ قاله قتادة<sup>(٢)</sup>. وقيل: أي: يخشاه في مَغِيْبِهِ عن أَبْصَارِ النَّاسِ وانفراذه بنفسه. ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ أي: لذنبه ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ أي: الجنة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءِثْرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾ أخبر تعالى بإحيائه الموتى رداً على الكفرة. وقال الضحاك والحسن: أي: نُحْيِيهِمْ بالإيمان بعد الجهل<sup>(٣)</sup>. والأولُ أظهر؛ أي: نُحْيِيهِمْ بالبعث للجزاء.

(١) بنحوه في السنة لعبد الله بن أحمد ص ١٤٥ - ١٤٦ ، والشريعة للأجري ص ٢٢٨ - ٢٢٩ ، وشرح أصول الاعتقاد ٧٨٨/٤ ، وتاريخ مدينة دمشق ٢٠٨/٤٨ - ٢٠٩ . وقول ابن عون (وهو عبد الله بن عون) أخرجه أيضاً أحمد (٥٨٨١) مختصراً بذكر الصلب. وغيلان هو ابن أبي غيلان، أبو مروان، كان من بلغاه الكتاب، وكان الأوزاعي هو الذي ناظره وأفتى بقتله. لسان الميزان ٤/٤٢٤ .

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٨/٥ .

(٣) النكت والعيون ٩/٥ عن الضحاك، وذكر الزمخشري في الكشاف ٣/٣١٦ عن الحسن قوله: إحيائهم أن يخرجهم من الشرك إلى الإيمان.

ثم توعدهم بذكره كَتَبَ الآثَارِ - وهي :

الثانية - وإحصاء كل شيء وكل ما يصنعه الإنسان. قال قتادة: معناه: من عمل. وقاله مجاهد وابن زيد<sup>(١)</sup>. ونظيره قوله: ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥] وقوله: ﴿يَبُوءُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣]. وقال: ﴿أَتَقُوا اللَّهَ وَتَنْتَظِرُ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ فآثار المرء التي تبقى وتذكر بعد الإنسان من خير أو شر يُجازى عليها: من أثر حسن، كعلم علموه، أو كتاب صنّفوه، أو حبيسٍ اختبّسوه، أو بناء بنّوه: من مسجد أو رباط أو قنطرة أو نحو ذلك. أو سيئ، كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين، وسيئة أخذتها فيها تحسيرهم، أو شيء أخذته فيه صد عن ذكر الله من الحان وملاؤ. وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يُستن بها.

وقيل: هي آثار المشائين إلى المساجد. وعلى هذا المعنى تأوّل الآية عمر وابن عباس وسعيد بن جبير<sup>(٢)</sup>. وعن ابن عباس أيضاً أن معنى: «وَأَثَارُهُمْ»: خطاهم إلى المساجد. قال النحاس<sup>(٣)</sup>: وهذا أولى ما قيل فيه؛ لأنه قال: إن الآية نزلت في ذلك؛ لأنّ الأنصار كانت منازلهم بعيدة عن المسجد. وفي الحديث مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال: «يُكْتَبُ لَهُ بِرَجُلٍ حَسَنَةٌ، وَتُحِطُّ عَنْهُ بِرَجُلٍ سَيِّئَةٍ، ذَاهِبًا وَرَاجِعًا إِذَا خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ»<sup>(٤)</sup>.

قلت: وفي الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: كانت بنو سلمة في ناحية المدينة، فأرادوا الثقل إلى قُرب المسجد، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآخَّرَهُمْ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ آثَارَكُمْ تُكْتَبُ» فلم ينتقلوا. قال:

(١) أخرج قولهم الطبري ٤٠٨/١٩ - ٤٠٩ .

(٢) أخرجه عن ابن عباس ابن ماجه (٧٨٥) والطبري ٤٠٩/١٩ ، ولم تقف عليه عن عمر وسعيد بن جبير .

(٣) في إعراب القرآن ٣/ ٣٨٦ ، وما قبله منه .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٨٦ ، وأخرجه بنحوه أحمد (٦٥٩٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وله شاهد من حديث أبي هريرة ؓ عند مسلم (٦٦٦) ، وسلف ٢٨٨/١٥ . وآخر من حديث أبي هريرة أيضاً عند البخاري (٦٤٧) ، وثالث من حديث عقبة بن عامر عند أحمد (١٧٤٤٠) ، والطبراني في الكبير ١٧/ (٨٣١) .

هذا حديث [حسن] غريب من حديث الثوري<sup>(١)</sup>.

وفي «صحيح» مسلم عن جابر بن عبد الله قال: أراد بنو سلمة أن يتحولوا إلى قُرب المسجد، قال: والبِقَاعُ خالية، قال: فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «يا بني سلمة، دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم» فقالوا: ما كان يسرنا أننا كنا نحولنا<sup>(٢)</sup>.

وقال ثابت البناني: مشيت مع أنس بن مالك إلى الصلاة فأسرعت، فحبسني، فلما انقضت الصلاة [قال لي: مشيت مع زيد بن ثابت إلى الصلاة، فأسرعت في مشي فحبسني، فلما انقضت الصلاة] قال: مشيت مع النبي ﷺ فأسرعت فحبسني، فلما انقضت الصلاة قال: «أما علمت أن الآثار تكتب» فهذا احتجاج بالآية<sup>(٣)</sup>.

وقال قتادة ومجاهد أيضاً والحسن: الآثار في هذه الآية: الخطأ. وحكى الثعلبي عن أنس أنه قال: الآثار هي الخطأ إلى الجمعة<sup>(٤)</sup>. وواحد الآثار أثر، ويقال: أثر.

الثالثة: في هذه الأحاديث المفسرة لمعنى الآية دليل على أن البعد من المسجد أفضل، فلو كان بجوار مسجد؛ فهل له أن يجاوزه إلى الأبعد؟ اختلف فيه؛ فروي عن أنس أنه كان يجاوز المحدث إلى القديم. وروي عن غيره: الأبعد فالأبعد من المسجد أعظم أجراً. وكره الحسن وغيره هذا، وقال: لا يدعُ مسجداً قُربه ويأتي غيره. وهذا مذهب مالك، وفي تحطّي مسجده إلى المسجد الأعظم قولان<sup>(٥)</sup>.

(١) سنن الترمذي (٣٢٢٦)، وما بين حاصرتين منه، وهو موافق لما في تحفة الأشراف ٤٦٦/٣، وتحفة الأحوزي ٩٥/٩.

(٢) صحيح مسلم (٦٦٥): (٢٨١)، وهو عند أحمد بن حنبل (١٤٥٦٦). وأخرج نحوه البخاري (٦٥٥) و(٦٥٦) من حديث أنس ﷺ.

(٣) المحرر الوجيز ٤/٤٤٨، وما سلف بين حاصرتين منه، والخبر أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٤٥٨)، والعقيلي في الضعفاء ٢/٢١٩، وفي إسناده الضحاك بن نبراس، قال فيه ابن معين فيما ذكر العقيلي: ليس بشيء. وأخرجه الطبراني في الكبير بإسناد آخر من طريق محمد بن ثابت البناني عن أبيه، ومحمد بن ثابت قال فيه البخاري: فيه نظر، وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال النسائي: ضعيف. الميزان ٣/٤٩٥. وأخرجه الطبري ١٩/٤١٠ بإسناد آخر عن ثابت عن أنس عن زيد ﷺ موقوفاً.

(٤) المحرر الوجيز ٤/٤٤٨، وأخرجه عن الحسن ومجاهد وقاتدة الطبري ١٩/٤١١. وعلقه البخاري عن مجاهد إثر الحديث (٦٥٥).

(٥) المفهم ٢/٢٩٢.

وخرَّج ابن ماجه من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة الرجل في بيته بصلاة، وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة، وصلاته في المسجد الذي يُجمَع فيه بخمس مئة صلاة»<sup>(١)</sup>.

الرابعة: «دياركم» منصوبٌ على الإغراء، أي: إلزموا، و«تكتب» جزمٌ على جواب ذلك الأمر<sup>(٢)</sup>.

«وكلَّ» نصبٌ بفعلٍ مضمرٍ يدلُّ عليه «أحصيناها»، كأنه قال: وأحصينا كلَّ شيءٍ أحصيناها<sup>(٣)</sup>. ويجوزُ رفعُه بالابتداء، إلا أن نصبَه أولى؛ ليُعطفَ ما عملَ فيه الفعلُ على ما عملَ فيه الفعل. وهو قولُ الخليل وسيبويه<sup>(٤)</sup>.

والإمام: الكتابُ المُقتدى به الذي هو حجة. وقال مجاهدٌ وقتادةٌ وابن زيد: أراد اللوحَ المحفوظ. وقالت فرقةٌ: أراد صحائف الأعمال<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا نَطَّيْرُنَا بِكُمْ لَيْنَ لَمْ تَنْتَهُوا لَتَرْجُمُنَا وَلَيَسَّيُنَا عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ هذه القرية هي

(١) سنن ابن ماجه (١٤١٣). وإسناده ضعيف كما ذكر البوصيري في مصباح الزجاجه ٢٥٢/١. قوله: يُجمَعُ بالشديد، أي: يصلَى فيه الجمعة. النهاية (جمع).

(٢) المفهم ٢٩٢/٢.

(٣) المحرر الوجيز ٤٤٨/٤.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣٨٧/٣.

(٥) المحرر الوجيز ٤٤٨/٤.

أَنْطَاكِيَّةَ فِي قَوْلِ جَمِيعِ الْمَفْسِّرِينَ، فِيمَا ذَكَرَ الْمَاوَرِدِيُّ<sup>(١)</sup>. نُسِبَتْ إِلَى أَهْلِ أَنْطَبِيسَ، وَهُوَ اسْمُ الَّذِي بَنَاهَا، ثُمَّ غَيَّرَ لَمَّا عَرَّبَ؛ ذَكَرَهُ الشُّهَيْلِيُّ<sup>(٢)</sup>. وَيُقَالُ فِيهَا: أَنْطَاكِيَّةٌ؛ بِالتَّاءِ بَدَلَ الطَّاءِ.

وَكَانَ بِهَا فِرْعَوْنُ يُقَالُ لَهُ: أَنْطَيْخَسُ بْنُ أَنْطَيْخَسٍ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ؛ ذَكَرَهُ الْمَهْدَوِيُّ، وَحَكَاهُ أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ<sup>(٣)</sup> عَنْ كَعْبٍ وَوَهْبٍ. فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ ثَلَاثَةَ: وَهُمْ صَادِقٌ وَصَدُوقٌ، وَشَلُومُ هُوَ الثَّلَاثُ. هَذَا قَوْلُ الطَّبْرِيِّ<sup>(٤)</sup>. وَقَالَ غَيْرُهُ: شَمْعُونُ وَيُوحَنَّا. وَحَكَى النَّقَّاشُ: سَمْعَانُ وَيَحْيَى<sup>(٥)</sup>، وَلَمْ يَذْكُرُوا صَادِقًا وَلَا صَدُوقًا.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «مَثَلًا» وَ«أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ» مَفْعُولَيْنِ لِـ «أَضْرَبَ»، أَوْ «أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ» بَدَلًا مِنْ «مَثَلًا» أَي: أَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا مِثْلَ<sup>(٦)</sup> أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ، فَحَذَفَ الْمِضَافَ.

أَمْرُ النَّبِيِّ ﷺ بِإِنذَارِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ مَا حَلَّ بِكُفَّارِ أَهْلِ الْقَرْيَةِ الْمَبْعُوثِ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةَ رُسُلٍ. قِيلَ: رَسُلٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ. وَقِيلَ: إِنَّ عِيسَى بَعَثَهُمْ إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ لِلدَّعَاءِ إِلَى اللَّهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾، وَأَضَافَ الرَّبُّ ذَلِكَ إِلَى نَفْسِهِ؛ لِأَنَّ عِيسَى أَرْسَلَهُمَا بِأَمْرِ الرَّبِّ، وَكَانَ ذَلِكَ حِينَ رُفِعَ عِيسَى إِلَى السَّمَاءِ. ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ قِيلَ: ضَرَبُوهُمَا وَسَجَنُوهُمَا. ﴿فَعَزَّزْنَا بِتَالُوثٍ﴾ أَي: فَقَوَّيْنَا وَشَدَدْنَا الرِّسَالَةَ بِثَالُوثٍ.

(١) فِي النِّكَتِ وَالْعِيُونِ ١٠/٥ .

(٢) فِي التَّعْرِيفِ وَالْإِعْلَامِ ص ١٤٣ ، وَفِيهِ: أَنْطَيْخَسُ، بَدَلُ: أَنْطَبِيسَ.

(٣) فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ ٤٨٣/٥ .

(٤) فِي التَّفْسِيرِ ٤١٤/١٩ .

(٥) قَوْلُ النَّقَّاشِ وَالْقَوْلُ الَّذِي قَبْلَهُ ذَكَرَهُمَا الْمَاوَرِدِيُّ فِي النِّكَتِ وَالْعِيُونِ ١٠/٤ .

(٦) فِي (م): أَضْرَبَ لَهُمْ مِثْلَ، وَفِي (ظ): أَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا، وَالْمَثْبُتُ مِنْ بَاقِي النُّسخِ وَمَشْكَلُ إِعْرَابِ

الْقُرْآنِ ٦٠١/٢ ، وَالْكَلَامُ مِنْهُ. وَقَالَ مَكِّي: فَالْمِثْلُ الثَّانِي بَدَلُ مِنَ الْأَوَّلِ.

وقرأ أبو بكر عن عاصم: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ بالتخفيف، وشَدَّدَ الباقر<sup>(١)</sup>. قال الجوهري<sup>(٢)</sup>: وقوله تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ يُخَفِّفُ وَيُشَدِّدُ، أي: قَوَيْنَا وَشَدَّدْنَا. قال الأصمعي: أنشدني فيه أبو عمرو بن العلاء للمتلئس:

أَجْدُ إِذَا رُحِلَتْ تَعَزَّزَ لِحْمُهَا      وَإِذَا تُشَدُّ بِنِسْعِهَا لَا تَنْبِسُ<sup>(٣)</sup>  
أي: لَا تَرَعُو. فعلى هذا تكون القراءةان بمعنى.

وقيل: التخفيفُ بمعنى: غَلَبْنَا وَقَهَرْنَا، ومنه: ﴿وَعَزَّيْنِي فِي الْخُطَابِ﴾<sup>(٤)</sup> [ص: ٢٣].  
والتشديدُ بمعنى: قَوَيْنَا وَكَثَرْنَا.

وفي القصة: أَنَّ عيسى أَرْسَلَ إِلَيْهِم رَسولَيْنِ، فَلَقِيَا شَيْخاً يَرَعَى غُنِيْمَاتِ لِه، وَهُوَ حَبِيبُ النَّجَارِ صَاحِبُ «يس»، فَدَعَاهُ إِلَى اللَّهِ وَقَالَا: نَحْنُ رَسولَا عيسى نَدْعُوكَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ. فَطَالَبَهُمَا بِالْمُعْجِزَةِ، فَقَالَا: نَحْنُ نَشْفِي الْمَرَضِيَّ، وَكَانَ لَهُ ابْنٌ مَجْنُونٌ. وَقِيلَ: مَرِيضٌ عَلَى الْفَرَاشِ، فَمَسَحَاهُ، فَقَامَ بِإِذْنِ اللَّهِ صَاحِحاً، فَأَمَّنَ الرَّجُلُ بِاللَّهِ - وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي جَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى - فَفَشَا أَمْرُهُمَا، وَشَفِيَ كَثِيرًا مِنَ الْمَرَضِيَّ، فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ إِلَيْهِمَا - وَكَانَ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ - يَسْتَخْبِرُهُمَا، فَقَالَا: نَحْنُ رَسولَا عيسى. فَقَالَ: وَمَا آيَتُكُمَا؟ قَالَا: نُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَنُبْرِئُ الْمَرِيضَ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَنَدْعُوكَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، فَهَمَّ الْمَلِكُ بِضَرْبِهِمَا. وَقَالَ وَهَبٌ: حَبَسَهُمَا

(١) السبعة ص ٥٣٩، والتيسير ص ١٨٣.

(٢) في الصحاح (عزز).

(٣) غريب الحديث لابن قتيبة ٧٩/٢، وجمهرة اللغة ٢٩٠/١، والصحاح (عزز)، والكلام منه، واللسان (عزز)، وهو في المصادر عدا الصحاح برواية: ضمرت، بدل: رحلت. قوله: أَجْدُ، هي الناقاة القوية المؤثقة الخلق. القاموس (أجد). والتَّسْعُ: سَيْرٌ يُضْفَرُ عَلَى هَيْئَةِ أَعْتَةِ النَّعَالِ تُشَدُّ بِهِ الرَّحَالُ. اللسان (نسع).

(٤) يعني: غلبني في القول. تفسير أبي الليث ٩٥/٣، والكلام فيه بنحوه. وقال مكِّي في الكشف عن وجوه القراءات ٢١٤/٢: ويكون المفعول محذوفاً، وهو المرسلُ إليهم، تقديره: فَعَزَّزْنَا هُمْ بِثَالِثٍ، أي: فغلبناهم بثالث.

الملك وجلدهما مئة جلدة. فانهى الخبر إلى عيسى فأرسل ثالثاً - قيل: شمعون الصفا رأس الحواريين - لنصرهما، فعاشر حاشية الملك حتى تمكّن منهم واستأنسوا به، ورفعوا حديثه إلى الملك فأنيس به. وأظهر موافقته في دينه، فرضي الملك طريقته، ثم قال يوماً للملك: بلغني أنك حبست رجلين دعواك إلى الله، فلو سألت عنهما ما وراءهما. فقال: إن الغضب حال بيني وبين سؤالهما. قال: فلو أخضرتّهما. فأمر بذلك، فقال لهما شمعون: ما برهانكما على ما تدعيان؟ فقالا: نبرئ الأكمه والأبرص. فجيء بغلام ممسوح العينين؛ موضع عينيه كالجهة، فدعوا ربهما فانشق موضع البصر، فأخذا بُندقتين طيناً، فوضعاها في خديه، فصارتا مُقلتين يُبصرُ بهما. فعجب الملك وقال: إن هاهنا غلاماً مات منذ سبعة أيام ولم أذُفنه حتى يجيء أبوه، فهل يُحييه ربكما؟ فدعوا الله علانية، ودعا شمعون سراً، فقام الميت حياً، فقال للناس: إنني متٌ منذ سبعة أيام، فوجدتُ مشركاً، فأدخلتُ في سبعة أودية من النار، فأحذركم ما أنتم فيه، فأمنوا بالله، ثم فتحت أبواب السماء، فرأيتُ شاباً حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون وصاحبيه، حتى أحياني الله، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن عيسى روح الله وكلمته، وأن هؤلاء هم رسلُ الله. فقالوا له: وهذا شمعون أيضاً معهم؟ فقال: نعم، وهو أفضلهم. فأعلمهم شمعون أنه رسولُ المسيح إليهم، فأثر قوله في الملك، فدعا إلى الله، فأمن الملك في قوم كثير، وكفر آخرون<sup>(١)</sup>. وحكى القشيري أن الملك آمن ولم يؤمن قومه، وصاح جبريلُ صيحةً مات كلُّ من بقي منهم من الكفار.

وروي أن عيسى لما أمرهم أن يذهبوا إلى تلك القرية قالوا: يا نبي الله، إننا لا نعرف أن نتكلم بألسنتهم ولُغاتهم. فدعا الله لهم فناموا بمكانهم، فهبوا من نومتهم

(١) بنحوه في تفسير أبي الليث ٩٥/٣، وعرائس المجالس ص ٤٠٨، وتفسير البغوي ٧/٤ - ٩. قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/٤٤٩: واللازم من الآية أن الله تعالى بعث إليها رسولين، فدعيا أهل القرية إلى عبادة الله وحده فكذبوهما، فشدد الله أمرهما بثالث، وقامت الحججة على أهل القرية.

وقد حملتهم الملائكة، فألقتهم بأرضٍ أنطاكية، فكلم كل واحدٍ منهم صاحبه بلغة القوم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣] فقالوا جميعاً: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ . قَالُوا مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ تأكلون الطعام وتمشون في الأسواق ﴿وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ﴾ يأمر به، ولا ينهى عنه ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا تَكْذِيبُونَ﴾ في دَعْوَاكُمْ الرسالة، فقالت الرسل: ﴿رَبَّنَا عَلَّمْنَا إِيَّاكَ الْيَكْرَ لِمُرْسَلُونَ﴾ وإن كذبتُمونا، ﴿وَمَا عَلَّمْنَا إِلَّا الْبَلْغَ الْمُبِينُ﴾ في أَنَّ اللهَ واحدٌ ﴿قَالُوا﴾ لهم: ﴿إِنَّا نَطَّيَّرْنَا بِكُمْ﴾ أي: نَشَاءُ مِنَّا بِكُمْ.

قال مقاتل: حُبِسَ عنهم المطرُ ثلاثَ سنين، فقالوا: هذا بشؤمكم<sup>(١)</sup>. ويقال: إنهم أقاموا يندرونهم عشرَ سنين.

﴿لَئِنْ لَمْ تَنْهَوْا﴾ عن إندارنا ﴿لَتَرْجُمَنَّكُمْ﴾ قال الفراء<sup>(٢)</sup>: لنتلنكم. قال: وعامة ما في القرآن من الرجم معناه القتل. وقال قتادة: هو على بابهِ من الرجم بالحجارة<sup>(٣)</sup>. وقيل: لَسْتَمَنَّكُمْ، وقد تقدّم جميعه<sup>(٤)</sup>.

﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قيل: هو القتل. وقيل: هو التعذيب المؤلم. وقيل: هو التعذيب المؤلم قبل القتل، كالسَلخِ والقَطعِ والصَّلْبِ.

فقالت الرسل: ﴿طَّيَّرْنَاكُمْ مَعَكُمْ﴾ أي: سُؤْمُكُمْ معكم، أي: حَظُّكُمْ من الخير والشرِّ معكم ولازمٌ في أعناقكم، وليس هو من سُؤْمِنَا؛ قال معناه الضحَّاك<sup>(٥)</sup>. وقال قتادة: أعمالكم معكم<sup>(٦)</sup>. ابن عباس: معناه: الأرزاقُ والأقدارُ تَتَّبِعُكُمْ<sup>(٧)</sup>. الفراء<sup>(٨)</sup>:

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/٤٤٩. قال ابن عطية: والأظهرُ أَنَّ تطييراً هؤلاء إنما كان بسبب ما دخل قريتهم من اختلاف الكلمة وافتتان الناس، وهذا على نحو تطيير قريش بمحمد ﷺ.

(٢) في معاني القرآن ٢/٣٧٤.

(٣) أخرجه الطبري ١٩/٤١٦ - ٤١٧.

(٤) ١١/٢٠١.

(٥) ذكره البغوي ٤/٩.

(٦) أخرجه الطبري ١٩/٤١٧.

(٧) معاني القرآن للنحاس ٥/٤٨٥.

(٨) في معاني القرآن ٢/٣٧٤.

«طائركم معكم»: رزقكم وعملكم، والمعنى واحد. وقرأ الحسن: «اطَّيرُكم» أي: تَطَّيرُكم<sup>(١)</sup>.

﴿أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ﴾ قال قتادة: إن ذُكِّرْتُمْ تَطَّيرْتُمْ<sup>(٢)</sup>. وفيه تسعة أوجه من القراءات: قرأ أهل المدينة: «أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ» بتخفيف الهمزة الثانية. وقرأ أهل الكوفة: «أَيْنَ» بتحقيق الهمزتين. والوجه الثالث: «أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ» بهمزتين بينهما ألف، أدخلت الألف كراهةً للجمع بين الهمزتين. والوجه الرابع: «أَيْنَ» بهمزة بعدها ألف وبعد الألف همزة مخففة<sup>(٣)</sup>.

والقراءة الخامسة: «أَأَنَّ» بهمزتين مفتوحتين بينهما ألف. والوجه السادس: «أَأَنَّ» بهمزتين مُحَقَّقَتَيْنِ مفتوحتين. وحكى الفراء: أن هذه قراءة أبي زرين<sup>(٤)</sup>. قلت: وحكاها الثعلبي عن زر بن حبيش وابن السَّمِيعِ.

وقرأ عيسى بن عمر والحسن البصري: «قالوا طائركم معكم أين ذُكِّرْتُمْ» بمعنى حيث. وقرأ يزيد بن القعقاع والحسن وطلحة: «ذُكِّرْتُمْ» بالتخفيف؛ ذكر جميعه النحاس<sup>(٥)</sup>.

وذكر المهدوي عن طلحة بن مُصَرِّفٍ وعيسى الهمداني: «أَنَّ ذُكِّرْتُمْ» بالمد، على أن همزة الاستفهام دخلت على همزة مفتوحة. الماجشون: «أَنَّ ذُكِّرْتُمْ» بهمزة واحدة

(١) الكشاف ٣/٣١٨. قال السمين في الدرّ المصون ٩/٢٥٢: «اطَّيرُكم» مصدر «اطَّيرَ» الذي أصله «تَطَّيرَ»، فلما أريد إدغامه أبدلت التاء طاءً وسكنت واجتلبت همزة الوصل فصار «اطَّيرَ»، فيكون مصدره «اطَّيرُ». وذكر السمين أنه روي عن الحسن: «طَّيرُكم»، وقال: ويغلب على الظن أنها هذه، وإنما تصحفت على الراي فحسبها مصدرًا، وظن أن ألف «قالوا» همزة وصل.

(٢) أخرجه بنحوه الطبري ١٩/٤١٨ - ٤١٩.

(٣) قرأ بتسهيل الهمزة الثانية نافع وابن كثير وأبو عمرو ورويس وأبو جعفر، وقالون وأبو عمرو يدخلان بينهما ألفاً، وكذلك أبو جعفر إلا أنه يفتح الثانية. وقرأ هشام بتحقيق الهمزتين مع الإدخال وعدمه، والباقون بالتحقيق مع عدم الإدخال. ينظر التيسير ص ٣٢، والنشر ١/٣٧٠.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/٣٧٤، وهي في القراءات الشاذة ص ١٢٥.

(٥) في إعراب القرآن ٣/٣٨٨. وذكر ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٢٥، وابن جني في المحتسب ٢/٢٠٥ عن الأعمش أنه قرأ: «أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ». قال ابن جني: فكانه قال: أين ذُكِّرْتُمْ، أو أين وُجِدْتُمْ وُجِدْتُمْ معكم.

مفتوحة<sup>(١)</sup>. فهذه تسع قراءات.

وقرأ ابن هرْمُز: «طَيْرُكُمْ مَعَكُمْ»<sup>(٢)</sup>. «أَتَيْنَ دُكْرْتُمْ» أي: لِإِن وَعُظْمْتُمْ؛ وهو كلامٌ مستأنفٌ، أي: إِنْ وَعُظْمْتُمْ تَطَيَّرْتُمْ. وقيل: إِنَّمَا تَطَيَّرُوا لَمَّا بَلَغَهُمْ أَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ دَعَا قَوْمَهُ فَلَمْ يُجِيبُوهُ كَانَ عَاقِبَةُ قَوْمِهِ الْهَلَاكُ.

﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ قال قتادة: مُسْرِفُونَ فِي تَطَيَّرِكُمْ. يحيى بن سلام: مُسْرِفُونَ فِي كَفْرِكُمْ. وقال ابن بحر: السَّرْفُ هَاهُنَا: الْفَسَادُ، وَمَعْنَاهُ: بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّفْسِدُونَ<sup>(٣)</sup>.

وقيل: مُسْرِفُونَ: مُشْرِكُونَ، وَالْإِسْرَافُ: مُجَاوِزَةُ الْحَدِّ، وَالْمُشْرِكُ يُجَاوِزُ<sup>(٤)</sup> الْحَدَّ.

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ يُهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ أَأَخِذُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا إِنْ يُرِيدُنِ الرِّحْلُنَ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِدُونِ ﴿١٨﴾ إِنْئِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ إِنْئِذَا آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَأَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ هو حبيب بن مري<sup>(٥)</sup>، وكان

(١) ذكر هذه القراءة عن الماجشون ابن جني في المحتسب ٢/٢٠٥. والماجشون هو يوسف بن يعقوب بن عبد الله بن أبي سلمة، توفي سنة (٢٨٤هـ). ينظر طبقات القراء لابن الجزري ٢/٤٠٥، وروح المعاني ٢٢٤/٢٢.

(٢) المحرر الوجيز ٤/٤٥٠ عن ابن هرْمُز والحسن وعمرو بن عبيد، والقراءات الشاذة ص ١٢٥ عن الحسن.

(٣) ذكر هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون ١٢/٥.

(٤) في (خ): مجاوز، وفي (ظ): تجاوز.

(٥) أخرجه الطبري ١٩/٤١٩ عن أبي مجلز.

نجاراً. وقيل: إسكافاً. وقيل: قصاراً. وقال ابن عباس ومجاهد ومقاتل: هو حبيب بن إسرائيل النجار<sup>(١)</sup>، وكان يَنْحَتُ الأصنامَ، وهو ممن آمَنَ بالنبِيِّ ﷺ وبينهما ستُّ مئةِ سنةٍ، كما آمَنَ به تَبِعَ الأكبرُ وورقةُ بنُ نوفل وغيرُهما. ولم يؤمنَ بنبيٍّ أحدٌ إلا بعد ظهوره<sup>(٢)</sup>.

قال وَهَبُ: وكان حبيبٌ مجذوماً، ومنزلُهُ عند أقصى بابٍ من أبوابِ المدينة، وكان عكف على عبادةِ الأصنامِ سبعين سنةً يدعوهم لعلَّهم يرحمونه ويكشفون ضرَّهُ، فما استجابوا له، فلَمَّا أَبْصَرَ الرسلَ دَعَوْهُ إلى عبادةِ الله، فقال: هل من آيةٍ؟ قالوا: نعم، ندعو ربَّنَا القَادِرَ فيفِرِّجُ عنكَ ما بك. فقال: إِنَّ هَذَا لَعَجَبٌ! ادْعُوا هذه الآلهةَ سبعين سنةً تَفْرِجُ عَنِّي فلم تَسْتَطِعْ، يَفْرِجُهُ رَبُّكُمْ في غداةٍ واحدةٍ؟ قالوا: نعم، ربَّنَا على ما يشاءُ قديرٌ، وهذه لا تنفعُ شيئاً ولا تضرُّ. فأَمَنَ، ودَعَوْا رَبَّهُمْ، فكشف اللهُ ما به، كأن لم يكن به بأسٌ، فحينئذٍ أَقْبَلَ على التكبُّبِ، فإذا أمسى تَصَدَّقَ بِكَسْبِهِ، فأطعمَ عياله نصفاً وتَصَدَّقَ بنصفِ، فلَمَّا هَمَّ قومُه بِقَتْلِ الرسلِ جاءهم ف ﴿قَالَ يَنْقَوِرُ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ الآية<sup>(٣)</sup>.

وقال قتادة: كان يعبدُ الله في غارٍ، فلَمَّا سمع بخبرِ المرسلين جاء يَسْعَى، فقال للمرسلين: أتطلبون على ما جئتم به أجراً؟ قالوا: لا، ما أجرنا إلا على الله<sup>(٤)</sup>. قال أبو العالية: فاعتقدَ صِدْقَهُمْ وآمَنَ بهم<sup>(٥)</sup>. وأقْبَلَ على قومِه ف ﴿قَالَ يَنْقَوِرُ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ \* أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلِكُوا أَجْرًا﴾ أي: لو كانوا متَّهَمِينَ لطلبوا منكم المالَ. ﴿وَهُمْ مُتَّهَدُونَ﴾ فاهتدوا بهم<sup>(٦)</sup>.

(١) عرائس المجالس ص ٤٠٩ عن ابن عباس ومقاتل، وفي الكشاف ٣/٣١٨ دون نسبة.

(٢) الكشاف ٣/٣١٨. وتَبِعَ الأكبر: هو أسعد أبو كرب، ملك اليمن، أراد غزو البيت الحرام، ثم شرفه وعظَّمه وكساه. البداية والنهاية ٣/١٢٢ وسيذكره المصنف عند تفسير الآية (٣٧) من سورة الدخان.

(٣) أخرجه الطبري ١٩/٤١٩ - ٤٢٠ مختصراً.

(٤) أخرجه عبد الرزاق ٢/١٤١، والطبري ١٩/٤٢١.

(٥) النكت والعيون ٥/١٣.

(٦) قال الألوسي في روح المعاني ٢٢/٢٢٦: ولا جَزَمَ لي بإيمانه ولا عَدَمِهِ قبل إرسال الرسل، =

﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ قال قتادة: قال له قومه: أنت على دينهم. فقال: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ أي: خلقتني ﴿وَالَّذِي تَرْجَعُونَ﴾. وهذا احتجاج منه عليهم. وأضاف الفطرة إلى نفسه؛ لأن ذلك نعمة عليه تُوجبُ الشكر، والبعث إليهم؛ لأن ذلك وعيدٌ يقتضي الزجر، فكان إضافة النعمة إلى نفسه أظهرَ شكراً، وإضافة البعث إلى الكافر أبلغ أثراً.

﴿ءَاتَخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً﴾ يعني أصناماً ﴿إِنْ يُرِيدَنَّ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ﴾ يعني ما أصابه من السُّقم ﴿لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُون﴾: يخلصوني مما أنا فيه من البلاء ﴿إِنِّي إِذًا﴾ يعني: إن فعلت ذلك ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي: خسرانٍ ظاهر ﴿إِنِّي ءَأَمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ﴾ قال ابن مسعود: خاطب الرسل بأنه مؤمن بالله ربهم. ومعنى «فاسمعون» أي: فاشهدوا، أي: كونوا شهودي بالإيمان<sup>(١)</sup>. وقال كعبٌ ووهبٌ: إنما قال ذلك لقومه: إنني آمنتُ بربكم الذي كفرتم به<sup>(٢)</sup>.

وقيل: إنه لما قال لقومه: ﴿اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ . اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلِكُ أَجْرًا﴾ رفعوه إلى الملك وقالوا: قد تبعت عدونا، فطول معهم الكلام ليشتغلهم بذلك عن قتل الرسل، إلى أن قال: ﴿إِنِّي ءَأَمَنْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فوثبوا عليه فقتلوه. قال ابن مسعود: وطمثوه بأرجلهم حتى خرج قُصْبُهُ من دبره<sup>(٣)</sup>. وألقي في بئر، وهي الرِّسُّ، وهم أصحاب الرِّسِّ. وفي رواية: أنهم قتلوا الرسل الثلاثة.

وقال السُّدِّيُّ: رَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي، حتى قتلوه<sup>(٤)</sup>. وقال الكلبيُّ: حفروا حفرةً وجعلوه فيها، ورددوا فوقه التراب، فمات رذماً.

= وظواهر الأخبار في ذلك متعارضة، ومع ذلك لم يتحقق عندي صحة شيء منها.

(١) أخرجه الحاكم ٤٢٩/٢ .

(٢) أخرجه عنهما الطبري ٤٢٣/١٩ .

(٣) أخرجه الطبري ٤٢٤/١٩ . والقُصْبُ: الوعى. القاموس (قصب).

(٤) عرائس المجالس ص ٤٠٩ .

وقال الحسن: حرقوا حرقاً<sup>(١)</sup> [في حلقه]، وعلقوه من سور المدينة، وقبره في سور أنطاكية؛ حكاها الثعلبي<sup>(٢)</sup>.

وقال القشيري: وقال الحسن: لَمَّا أَرَادَ الْقَوْمُ أَنْ يَقْتُلُوهُ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ لَا يَمُوتُ إِلَّا بِفَنَاءِ السَّمَاءِ وَهَلَاكِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا أَعَادَ اللَّهُ الْجَنَّةَ أُدْخِلَهَا<sup>(٣)</sup>.  
وقيل: نَشَرُوهُ بِالْمُنْشَارِ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا خَرَجَتْ رَوْحُهُ إِلَّا إِلَى الْجَنَّةِ فَدَخِلَهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ فَلَمَّا شَاهَدَهَا ﴿قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾. بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي ﴿أَي: بِغُفْرَانِ رَبِّي لِي، فـ «مَا» مَعَ الْفِعْلِ بِمَنْزِلَةِ الْمَصْدَرِ. وَقِيلَ: بِمَعْنَى الَّذِي، وَالْعَائِدُ مِنَ الصَّلَةِ مَحْذُوفٌ. وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ اسْتِفْهَامًا فِيهِ مَعْنَى التَّعَجُّبِ، كَأَنَّهُ قَالَ: لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِأَيِّ شَيْءٍ غَفَرَ لِي رَبِّي<sup>(٤)</sup>؛ قَالَ الْفَرَّاءُ. وَاعْتَرَضَهُ الْكَسَائِيُّ فَقَالَ: لَوْ صَحَّ هَذَا لَقَالَ: بِمِ، مِنْ غَيْرِ أَلْفٍ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ بِمَا بِالْأَلْفِ وَهُوَ اسْتِفْهَامٌ، وَأَنْشُدَ فِيهِ آيَاتًا<sup>(٥)</sup>.

الزَّمَخْشَرِيُّ<sup>(٦)</sup>: بِمِ غَفَرَ لِي، بِطَرَحِ الْأَلْفِ أَجُودٌ، وَإِنْ كَانَ إِثْبَاتُهَا جَائِزًا؛ يُقَالَ: قَدْ عَلِمْتُ بِمَا صَنَعْتَ هَذَا، وَبِمِ صَنَعْتُ.

المَهْدَوِيُّ: وَإِثْبَاتُ الْإِلْفِ فِي الْاسْتِفْهَامِ قَلِيلٌ. فَيُوقَفُ عَلَى هَذَا عَلَى «يَعْلَمُونَ». وَقَالَ جَمَاعَةٌ: مَعْنَى ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾: وَجَبَتْ لَكَ الْجَنَّةُ، فَهُوَ خَبْرٌ بِأَنَّهُ قَدْ اسْتَحَقَّ دَخُولَ الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّ دَخُولَهَا يُسْتَحَقُّ بَعْدَ الْبَعْثِ.

(١) في (ظ) و(م): حرقوه حرقاً، وفي (ز): حرقوا حرقاً.

(٢) في عرائس المجالس ص ٤٠٩، وما سلف بين حاصرتين منه. وفيه: وقبره في سوق أنطاكية.

(٣) قال الألوسي في مجمع البيان ٢٢٨/٢٢: والجمهور على أنه قتل. وذكر ابن عطية في المحرر الوجيز ٤٥١/٤ أن الأحاديث والروايات تواترت بذلك.

(٤) مشكل إعراب القرآن ٢/٦٠١.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/٣٧٤ - ٣٧٥.

(٦) في الكشاف ٣/٣٢٠.

قلت: والظاهر من الآية أنه لما قُتل قيل له: ادخل الجنة.

قال قتادة: أدخله الله الجنة وهو فيها حيٌّ يُرزق، أراد قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] (١) على ما تقدم في «آل عمران» بيانه. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ مرتب على تقدير سؤال سائلٍ عما وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم الذي هو ﴿بِمَا غَفَرَ لِي ربيَّ وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾. وقرئ: «مِنَ الْمُكْرَمِينَ» (٢).

وفي معنى تمنيه قولان:

أحدهما: أنه تمنى أن يعلموا بحاله ليُعلموا حُسن مآله وحميد عاقبته.

الثاني: تمنى ذلك ليؤمنوا مثل إيمانه فيصيروا إلى مثل حاله. قال ابن عباس: نصح قومه حياً وميتاً (٣). رُفِعَ القشيريُّ فقال: وفي الخبر أنه عليه الصلاة والسلام قال في هذه الآية: «إنه نصح لهم في حياته وبعد موته» (٤).

وقال ابن أبي ليلي: سبأُ الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين: علي بن أبي طالب وهو أفضلهم، ومؤمن آل فرعون، وصاحب يس، فهم الصديقون (٥). ذكره الزمخشريُّ مرفوعاً عن رسول الله ﷺ (٦).

(١) الكشاف ٣/٣١٩.

(٢) الكشاف ٣/٣٢٠، وهي قراءة شاذة.

(٣) النكت والعيون ١٤/٥.

(٤) أخرجه مطولاً ابن مردويه - كما في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر ص ١٤٠ - من حديث المغيرة ابن شعبة ؓ.

(٥) المحرر الوجيز ٤/٤٥٠ بنحوه.

(٦) الكشاف ٣/٣١٩، وأخرجه بنحوه أحمد في فضائل الصحابة (١٠٧٢) و(١١١٧) من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلي، عن أبيه، عن النبي ﷺ، وفي إسناده عمرو بن جميع البصري، قال فيه الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف ص ١٤٠: متروك. وأخرجه بنحوه أيضاً الطبراني في الكبير (١١١٥٢)، وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: حديث منكر.

وفي هذه الآية تنبيهٌ عظيمٌ، ودلالةٌ على وجوبِ كَظْمِ الغيظ، والحِلْمِ عن أهلِ الجهل، والثَّرُوفِ على مَنْ أَدْخَلَ نَفْسَهُ فِي غَمَارِ الْأَشْرَارِ وَأَهْلِ الْبَغْيِ، وَالتَّشْمُرِ فِي تَخْلِيصِهِ، وَالتَّلَطُّفِ فِي افْتِدَائِهِ، وَالاشْتِغَالِ بِذَلِكَ عَنِ الشَّمَاتَةِ بِهِ وَالدَّعَاءِ عَلَيْهِ. أَلَا تَرَى كَيْفَ تَمَنَّى الْخَيْرَ لِقَتْلَتِهِ وَالبَاغِينَ لَهُ الْغَوَائِلَ، وَهَمَّ كَفْرَةً عَبْدُهُ أَصْنَامًا؟! (١)

فَلَمَّا قُتِلَ حَبِيبٌ غَضِبَ اللَّهُ لَهُ، وَعَجَّلَ النِّقْمَةَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَمَرَ جَبْرِيلَ فَصَاحَ بِهِمْ صِيحَةً فَمَاتُوا عَنْ آخِرِهِمْ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ أَي: مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنْ رِسَالَةٍ وَلَا نَبِيٍّ بَعْدَ قَتْلِهِ؛ قَالَه قَتَادَةُ وَمَجَاهِدٌ وَالحَسَنُ (٢). قَالَ الحَسَنُ: الْجُنْدُ: الْمَلَائِكَةُ النَّازِلُونَ بِالْوَحْيِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ (٣).

وَقِيلَ: الْجُنْدُ: الْعَسَاكِرُ، أَي: لَمْ أَحْتَجِّ فِي هَلَاكِهِمْ إِلَى إِسْرَالِ جُنُودٍ وَلَا جِيُوشٍ وَلَا عَسَاكِرَ، بَلْ أَهْلَكْتُهُمْ (٤) بِصِيحَةٍ وَاحِدَةٍ. قَالَ مَعْنَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ وَغَيْرُهُ (٥). فَقَوْلُهُ: «وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ» تَصْغِيرٌ لِأَمْرِهِمْ، أَي: أَهْلَكْنَاهُمْ بِصِيحَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الرَّجُلِ، أَوْ مِنْ بَعْدِ رَفْعِهِ إِلَى السَّمَاءِ.

وَقِيلَ: الْمَعْنَى: «وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ» عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ. الزَّمَخْشَرِيُّ (٦): فَإِنْ قُلْتَ: فَلَمْ أَنْزِلِ الْجُنُودَ مِنَ السَّمَاءِ يَوْمَ بَدْرٍ وَالْخَنْدَقِ؟ فَقَالَ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ [الْأَحْزَابُ: ٩]، وَقَالَ: ﴿بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ [الْأَنْفَالُ: ٩]، ﴿ثَلَاثَةَ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزِلِينَ﴾ [آلْ عَمْرَانَ: ١٢٤]، ﴿بِحَمْسَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آلْ عَمْرَانَ: ١٢٥].

(١) الكشاف ٣/٣١٩ - ٣٢٠.

(٢) تفسير الطبري ١٩/٤٢٦ - ٤٢٧ عن مجاهد وقَتَادَةَ.

(٣) النكت والعيون ٥/١٥.

(٤) فِي (د) وَ(ظ) وَ(م): بَلْ أَهْلَكْتُهُمْ.

(٥) تفسير الطبري ١٩/٤٢٧.

(٦) فِي الْكَشَافِ ٣/٣٢٠، وَمَا سِيرِدُ بَيْنَ حَاصِرَتَيْنِ مِنْهُ.

قلت: إنما كان يكفي مَلَكٌ واحدٌ، فقد أهلكت مدائن قوم لوط بريشة من جناح جبريل، وبلادُ ثمودَ وقوم صالح بصيحةٍ [منه]، ولكن الله فضل محمداً ﷺ بكل شيء على كبار<sup>(١)</sup> الأنبياء وأولي العزم من الرسل فضلاً عن حبيب النجار، وأولاه من أسباب الكرامة والإعزاز ما لم يؤله أحداً، فمن ذلك أنه أنزل له جنوداً من السماء، وكأنه أشار بقوله: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا﴾. ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ إلى أن إنزال الجنود من عظام الأمور التي لا يؤهل لها إلا مثلك، وما كنا نفعله لغيرك<sup>(٢)</sup>.

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ قراءة العامة: ﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ بالنصب على تقدير: ما كانت عقوبتهم إلا صيحة واحدة.

وقرأ أبو جعفر بن القَعْقَاع وشيبة والأعرج: «صَيْحَةً» بالرفع هنا، وفي قوله «إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ» [الآية: ٥٣] <sup>(٣)</sup>، جعلوا الكون بمعنى الوقوع والحدوث، فكأنه قال: ما وقعت عليهم إلا صيحة واحدة. وأنكر هذه القراءة أبو حاتم وكثير من النحويين بسبب التأنيث فهو ضعيف، كما تكون: ما قامت إلا هند ضعيفاً، من حيث كان المعنى: ما قام أحدٌ إلا هند. قال أبو حاتم: فلو كان كما قرأ أبو جعفر لقال: إِنْ كَانَ إِلَّا صَيْحَةً.

قال النحاس<sup>(٤)</sup>: لا يمتنع شيء من هذا، يقال: ما جاءني إلا جاريتك، بمعنى: ما جاءني امرأة أو جارية إلا جاريتك. والتقدير في القراءة بالرفع ما قاله أبو إسحاق، قال: المعنى: إِنْ كَانَتْ عَلَيْهِمْ صَيْحَةً إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً، وقدره غيره: ما وقعت عليهم إلا صيحة واحدة. وكان بمعنى وَقَعَ كثيرٌ في كلام العرب.

وقرأ عبد الرحمن بن الأسود - ويقال: إنه في حَرْفِ عبد الله كذلك -: «إِنْ كَانَتْ

(١) في (خ) و(م): سائر، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في الكشاف.

(٢) في (خ) و(ظ) والكشاف: بغيرك.

(٣) النشر ٣٥٣/٢ عن أبي جعفر، وهو من العشرة.

(٤) في إعراب القرآن ٣/٣٩٠، وما قبله منه.

إِلَّا زَقِيَّةً وَاحِدَةً». وهذا مخالفٌ للمصحف. وأيضاً فإنَّ اللغةَ المعروفةَ: زَقَا يَزْقُو: إذا صاح، ومنه المثلُ: أثقلُ من الزَّوَاقي، فكان يجب على هذا أن يكون: زَقُوَّةً. ذكره النحاس<sup>(١)</sup>.

قلت: وقال الجوهري<sup>(٢)</sup>: الزَّقْوُ والزَّقِيُّ مصدر، وقد زَقَا الصَّدَى يزقو [ويزقي] زَقَاءً، أي: صاح، وكلُّ صائحٍ زاقٍ، والزَّقِيَّةُ: الصَّيْحَةُ.

قلت: وعلى هذا يقال: زَقُوَّةٌ وزَقِيَّةٌ لغتان<sup>(٣)</sup>، فالقراءةُ صحيحةٌ لا اعتراض عليها. والله أعلم.

﴿فَإِذَا هُمْ خَعِيدُونَ﴾ أي: مَيِّتُونَ هَامِدُونَ؛ تشبيهاً بالرَّمَادِ الخَامِدِ. وقال قتادة: هَلَكَى<sup>(٤)</sup>. والمعنى واحد.

قوله تعالى: ﴿يَحْضَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَحْضَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ﴾ منصوبٌ؛ لأنه نداء نكرة، ولا يجوزُ فيه غيرُ النَّصْبِ عند البصريين<sup>(٥)</sup>. وفي حرفِ أَبِي: «يا حسرةُ العبادِ» على الإضافة<sup>(٦)</sup>. وحققةُ الحسرةِ في اللغة: أن يَلْحَقَ الإنسانَ من النَّدَمِ ما يَصِيرُ به حَسِيراً<sup>(٧)</sup>.

(١) في إعراب القرآن ٣/٣٩٠ - ٣٩١، دون ذكر المثل، وهو في جمهرة الأمثال ١/٢٩٣، ومجمع الأمثال ١/١٥٦. قال العسكري: الزواقي: الديكة، وكان الفتيان يسمرون بالليل، فإذا زقت الديكة انصرف كلُّ إلى رَحْلِهِ، فاستثقلوها لقطعها عليهم سَمَرَهُمْ. وقراءة: «إن كانت إلا زَقِيَّةً» في القراءات الشاذة ص ١٢٥، والمحتسب ٢/٢٠٦.

(٢) في الصحاح (زقا)، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٣) معاني القرآن للقراء ٢/٣٧٥.

(٤) ذكره النحاس في إعراب القرآن ٣/٣٩١.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٩١.

(٦) القراءات الشاذة ص ١٢٥، والمحتسب ٢/٢٠٦.

(٧) معاني القرآن للنحاس ٥/٤٨٩.

وزعم الفراء أن الاختيارَ النصبُ، وأنه لو رفعت النكرة الموصولة بالصفة<sup>(١)</sup> كان صواباً. واستشهد بأشياء؛ منها أنه سُمع من العرب: يا مُهْتَمُّ بأمرنا لا تَهْتَمِّ، وأنشد:

يا دارُ غَيْرِها البلى تَغْييراً<sup>(٢)</sup>

قال النحاس: وفي هذا إبطالُ بابِ النداءِ أو أكثره؛ لأنه يرفعُ النكرةَ المَحْضَةَ، ويرفع ما هو بمنزلةِ المضافِ في طوله، ويحذفُ التنوينَ متوسطاً، ويرفع ما هو في المعنى مفعولٌ بغيرِ علةٍ أَوْجَبَتْ ذلك. فأما ما حكاه عن العرب فلا يُشْبِه ما أجازَه؛ لأنَّ تقدير: يا مُهْتَمُّ بأمرنا لا تَهْتَمِّ، على التقديم والتأخير، والمعنى: يا أيها المهتمُّ لا تَهْتَمِّ بأمرنا. وتقديرُ البيت: يا أيتها الدارُ، ثم حَوَّلَ المخاطبةَ، أي: يا هؤلاء غَيْرَ هذه الدارِ البلى، كما قال الله جل وعز: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمُ﴾ [يونس: ٢٢]<sup>(٣)</sup>. فـ «حسرة» منصوبٌ على النداء، كما تقول: يا رجلاً أقبل، ومعنى النداء: هذا موضعُ حُضُورِ الحسرة.

الطبري<sup>(٤)</sup>: المعنى: يا حسرةً من العباد على أنفسهم، وتندماً وتلهُفاً في استهزائهم برسُل الله عليهم السلام.

(١) في النسخ: بالصلة، والمثبت من معاني القرآن للفراء ٢/٢٧٦، وإعراب القرآن للنحاس ٣/٣٩١، وعنه نقل المصنف.

(٢) البيت للأحوص كما في الكتاب ٢/٢٠١، ونسبه السيرافي في شرح أبيات سيويه ١/٥٢٣ للحارث بن خالد المخزومي، وهو بلا نسبة في معاني القرآن للفراء ٢/٢٧٦، وإعراب القرآن للنحاس ٣/٣٩١، وروايته في الكتاب:

يا دارُ حَسَرِها البلى تَحْسِيراً      وَسَقَتْ عَلَيْها الرِيحُ بَعْدَكَ مُوراً

قال السيرافي: حَسَرها: أزال ما كان فيها من الأطلال، والمور: الغبار.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٩١ - ٣٩٢. وشرح الكلام أنه لما قال: يا دار، نادى داراً بعينها فصارت معرفةً ولذلك بناها على الضم، ثم إنه أتى بعدها بقوله: حَسَرها البلى - والفعل لا ينعت به إلا النكرة - فكانه قال: يا دار، ثم أقبل على إنسان فقال: حَسَرها البلى، فحَسَرها ليس ينعت للدار. ينظر الكتاب ٢/٢٠١، وشرح أبيات سيويه للسيرافي ١/٥٢٣.

(٤) في التفسير ١٩/٤٢٩.

ابن عباس: «يا حسرة على العباد» أي: يا ويلاً على العباد<sup>(١)</sup>. وعنه أيضاً: حلّ هؤلاء محلّ من يتحسّر عليهم<sup>(٢)</sup>.

وروى الربيع بن<sup>(٣)</sup> أنس عن أبي العالفة: أنّ العباد هاهنا الرسل، وذلك أنّ الكفار لما رأوا العذاب قالوا: «يا حسرة على العباد»، فتحسّروا على قتلهم وترك الإيمان بهم، فتمنّوا الإيمان حين لم ينفعهم الإيمان<sup>(٤)</sup>. وقاله مجاهد.

وقال الضحاك: إنها حسرة الملائكة على الكفار حين كذبوا الرسل<sup>(٥)</sup>.

وقيل: «يا حسرة على العباد» من قول الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، لما وثب القوم لقتله.

وقيل: إنّ الرسل الثلاثة هم الذين قالوا لما قتل القوم ذلك الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، وحلّ بالقوم العذاب: يا حسرة على هؤلاء، كأنهم تمنّوا أن يكونوا قد آمنوا.

وقيل: هذا من قول القوم؛ قالوا لما قتلوا الرجل وفارقتهم الرسل، أو قتلوا الرجل مع الرسل الثلاثة، على اختلاف الروايات: يا حسرة على هؤلاء الرسل، وعلى هذا الرجل، ليتنا آمنّا بهم في الوقت الذي ينفع الإيمان. وتمّ الكلام على هذا، ثم ابتداء فقال: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ﴾.

وقرأ ابن هرّمز ومسلم بن جندب وعكرمة: «يا حسرة على العباد» بسكون الهاء<sup>(٦)</sup>، للحرص على البيان وتقرير المعنى في النفس؛ إذ كان موضع وعظ وتنبه،

(١) أخرجه الطبري ٥٣٠/١٩ بلفظ: يا ويلاً للعباد.

(٢) النكت والعيون ١٥/٤.

(٣) في النسخ، عن، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٩٢.

(٤) بنحوه في إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٩٢، والمحزر الوجيز ٤/٤٥٢، وتفسير البغوي ٤/١١. قال ابن عطية: وقوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ﴾ الآية، يدفع هذا التأويل.

(٥) النكت والعيون ١٥/٤.

(٦) القراءات الشاذة ص ١٢٥، والمحسب ٢/٢٠٨.

والعربُ تفعلُ ذلك في مثله وإن لم يكن موضعاً للوقف. ومن ذلك ما روي عن النبي ﷺ: أنه كان يُقَطِّعُ قراءته حرفاً حرفاً<sup>(١)</sup>؛ حِرْصاً على البيان والإفهام.

ويجوز أن يكون «على العباد» متعلقاً بالحسرة. ويجوز أن يكون متعلقاً بمحذوف لا بالحسرة، فكأنه قدّر الوقف على الحسرة فأسكَنَ الهاء، ثم قال: «على العباد»، أي: أتحسّر على العباد.

وعن ابن عباس والضحاك وغيرهما: «يا حسرة العباد» مضافٌ بحذف «على»<sup>(٢)</sup>. وهو خلافُ المصحف. وجاز أن يكون من باب الإضافة إلى الفاعل، فيكونُ العبادُ فاعلين، كأنهم إذا شاهدوا العذاب تحسروا، فهو كقولك: يا قيام زيد. ويجوز أن تكونَ من باب الإضافة إلى المفعول، فيكون العبادُ مفعولين، فكأنَّ العبادَ يتحسّر عليهم من يُشْفِقُ لهم. وقراءةٌ من قرأ: «يا حسرة على العباد» مقويةٌ لهذا المعنى<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرَوْنَ كَذَبَ الَّذِينَ الَّذِينَ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مَنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ قال سيبويه: «أنَّ» بدلٌ من «كَمْ»، ومعنى «كَمْ» هاهنا الخبر؛ فلذلك جاز أن يُبدَلَ منها ما ليس باستفهام. والمعنى: ألم يَرَوْا أَنَّ الْقُرُونَ الَّذِينَ أَهْلَكْنَاهُمْ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ<sup>(٤)</sup>. وقال الفراء<sup>(٥)</sup>: «كَمْ» في موضع نصبٍ من وجهين: أحدهما بـ «يَرَوْا»، واستشهد على هذا بأنه في قراءة ابن مسعود: «أَلَمْ يَرَوْا مَنَ أَهْلَكْنَا». والوجهُ الآخرُ أن يكون «كَمْ» في موضع نصبٍ بـ «أهْلَكْنَا».

قال النحاس<sup>(٦)</sup>: القولُ الأوَّلُ مُحالٌ؛ لأنَّ «كَمْ» لا يعملُ فيها ما قبلها؛ لأنَّها

(١) أخرجه بنحوه أحمد (٢٦٥٨٣)، وأبو داود (٤٠٠١)، والترمذي (٢٩٢٣) من حديث أم سلمة رضي الله عنها، قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب. ووقع عند أحمد وأبي داود: آية آية، بدل: حرفاً حرفاً.

(٢) القراءات الشاذة ص ١٢٥، والمحتسب ٢/٢٠٨، وسلفت في بداية تفسير هذه الآية.

(٣) بنحوه في المحتسب ٢/٢١١.

(٤) بنحوه في الكتاب ٣/١٣٢.

(٥) في معاني القرآن ٢/٣٧٦، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣/٣٩٢.

(٦) في إعراب القرآن ٣/٣٩٢ - ٣٩٣.

استفهام، ومُحالٌ أن يدخَلَ الاستفهامُ في خبرٍ<sup>(١)</sup> ما قَبْلَهُ. وكذا حُكْمُهَا إذا كانت خبراً. وإن كان سببويه قد أوْمأ إلى بعضِ هذا فجعل «أنَّهم» بدلاً من «كم». وقد ردَّ ذلك محمد بن يزيد أشدَّ ردًّا، وقال: «كم» في موضعِ نصبٍ بـ «أهلَكنا»، و«أنَّهم» في موضعِ نصبٍ، والمعنى عنده: بأنَّهم، أي: ألم يَرَوْا كم أهلَكنا قَبْلَهُم من القرون بالاستئصال. قال: والدليلُ على هذا: أنَّها في قراءةِ عبد الله: «مَنْ أهلَكنا قَبْلَهُم من القرون أنَّهم إليهم لا يَرِجِعُونَ»<sup>(٢)</sup>.

وقرأ الحسن: «إنَّهم إليهم لا يَرِجِعُونَ» بكسْرِ الهمزة على الاستئناس<sup>(٣)</sup>. وهذه الآيةُ ردُّ على مَنْ زعم أنَّ من الخَلْقِ مَنْ يَرِجِعُ قبل القيامةِ بعد الموت.

﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ يريد يومَ القيامةِ للجزاء. وقرأ ابن عامرٍ وعاصمٌ وحمزةُ: ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا﴾ بتشديدِ «لَمَّا»، وخفَّفَ الباقون<sup>(٤)</sup>. فـ «إِنْ» مخفَّفةٌ من الثقيلة، وما بعدها مرفوعٌ بالابتداء، وما بعده الخبر. وبطلَ عملُها حين تغيَّرَ لفظُها. ولزِمَت اللامُ في الخبرِ فرْقاً بينها وبين إن التي بمعنى ما. و«ما» عند أبي عبيدة زائدةٌ. والتقدير عنده: وإن كلُّ لَمَّا لجميع<sup>(٥)</sup>. قال الفراء<sup>(٦)</sup>: «مَنْ شَدَّدَ جعل «لَمَّا» بمعنى إلاً و«إِنْ» بمعنى ما، أي: ما كلُّ إلاً لجميع<sup>(٧)</sup>، كقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ يَدْعُ بِحِجَّتِهِ﴾ [المؤمنون: ٢٥]. وحكى [ذلك] سيبويه في قوله: سألتك بالله لَمَّا فَعَلْتَ. وزعم الكسائيُّ أنه لا يعرف هذا<sup>(٨)</sup>. وقد مضى هذا المعنى في «هود»<sup>(٩)</sup>. وفي حرفِ أُبَيٍّ: «وإنَّ منهم إلاً جميعٌ

(١) في مطبوع إعراب القرآن: حيز.

(٢) من قوله: قال والدليل على هذا، إلى هذا الموضع ذكره النحاس في معاني القرآن ٤٩٠/٥.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٢٥.

(٤) التيسير ص ١٢٩.

(٥) مجاز القرآن ١٦٠/٢.

(٦) بنحوه في معاني القرآن ٣٧٧/٢.

(٧) في النسخ عدا (ظ): لجميع، وهو خطأ.

(٨) إعراب القرآن للنحاس ٣٩٣/٣، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٩) ٢١٩/١١.

لدينا مُخَضَّرُونَ»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّ لُحْمٍ أَرْضَ الْمَيْتَةِ أَحْيَيْتَهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تَبَتُّ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّ لُحْمٍ أَرْضَ الْمَيْتَةِ أَحْيَيْتَهَا﴾ نَبِّههم الله تعالى بهذا على إحياء الموتى، وذكرهم توحيدَه وكمال قدرته، وهي الأرض الميتة أحيها بالنبات وإخراج الحب منها. ﴿فَمِنْهُ﴾ أي: من الحب ﴿يَأْكُلُونَ﴾ وبه يتغذون. وشدد أهل المدينة «الميتة» وخفف الباقون<sup>(٢)</sup>، وقد تقدّم<sup>(٣)</sup>.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ أي: في الأرض ﴿جَنَّاتٍ﴾ أي: بساتين ﴿مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ وخصصهما بالذكر لأنهما أعلى الثمار. ﴿وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ أي: في البساتين ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ الهاء في «ثمره» تعود على ماء العيون؛ لأن الثمر منه اندرج؛ قاله الجرجاني والمهدوي وغيرهما. وقيل: أي: ليأكلوا من ثمر ما ذكرنا، كما قال: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِقُدِّمْتُمْ فِيهَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ [النحل: ٦٦].

وقرأ حمزة والكسائي: «مِنْ ثَمَرِهِ» بضم الثاء والميم. وفتحهما الباقون<sup>(٤)</sup>. وعن الأعمش ضمُّ الثاء وإسكان الميم<sup>(٥)</sup>. وقد مضى الكلام فيه في «الأنعام»<sup>(٦)</sup>.

﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ «ما» في موضع خفضٍ على العطف على «مِنْ ثَمَرِهِ» أي:

(١) معاني القرآن للنحاس ٤/٥، ٤٩٤، والمحرم الوجيز ٤/٤٥٢.

(٢) قراءة التشديد هي قراءة نافع، والباقون من السبعة بالتخفيف. السبعة ص ٢٠٣، والتيسير ص ١٠٦.

(٣) ٢٣/٣.

(٤) السبعة ص ٢٦٤، والتيسير ص ١٠٥.

(٥) المحرم الوجيز ٤/٤٥٣.

(٦) ٤٧٤/٨.

وممّا عملته أيديهم. وقرأ الكوفيون: «وما عَمَلْت» بغير هاء<sup>(١)</sup>. الباقون: ﴿عَمَلْتَهُ﴾ على الأصل من غير حذف. وحذف الصلة أيضاً في الكلام كثيرٌ لطول الاسم. ويجوز أن تكون «ما» نافية لا موضع لها، فلا تحتاجُ إلى صلة ولا راجع، أي: ولم تعمله أيديهم من الزرع الذي أنبته الله لهم. وهذا قولُ ابنِ عباس والضحاك ومقاتل<sup>(٢)</sup>.

وقال غيرهم: المعنى: ومن الذي عَمَلْتَهُ أيديهم، أي: من الثمار، ومن أصنافِ الحلاواتِ والأطعمة، وممّا اتَّخذوا من الحبوب بعلاج، كالخبز والدُّهنِ المستخرَجِ من السُّمسيم والزيتون. وقيل: يرجع ذلك إلى ما يغرُسُه الناس. روي معناه عن ابنِ عباس أيضاً. ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ نِعْمَهُ؟!

قوله تعالى: ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ نَزَّهَ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ عن قول الكفار؛ إذ عَبَدُوا غَيْرَهُ مع ما رَأَوْهُ من نِعْمِهِ وآثَارِ قُدْرَتِهِ. وفيه تقديرُ الأمرِ، أي: سُبْحُوهُ ونَزَّهُوهُ عمّا لا يَلِيقُ بِهِ. وقيل: فيه معنى التعجُّبِ، أي: عجباً لهؤلاء في كفرهم مع ما يشاهدونه من هذه الآيات! وَمَنْ تَعَجَّبَ مِنْ شَيْءٍ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ!

والأزواجُ: الأنواعُ والأصنافُ، فكلُّ صِنْفٍ زَوْجٌ<sup>(٣)</sup>؛ لأنه مختلفٌ في الألوان والطُّعوم والأشكال والصُّغَرِ والكِبَرِ، فاختلافُها هو ازدواجُها. وقال قتادة: يعني الذَّكَرَ والأنثى. ﴿مِمَّا تُثَلِّثُ الْأَرْضُ﴾ يعني من النبات؛ لأنه أصناف. ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني وَخَلَقَ مِنْهُمْ أولاداً أزواجاً، ذكوراً وإناثاً. ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: من أصنافِ خَلْقِهِ في البرِّ والبحرِ والسماءِ والأرضِ. ثم يجوزُ أن يكون ما يَخْلُقُهُ لا يَعْلَمُهُ البَشَرُ وتَعْلَمُهُ

(١) قرأ بغير هاء أبو بكر وحزمة والكسائي، والباقون من السبعة بالهاء. السبعة ص ٥٤٠، والتيسير ص ١٨٤.

(٢) ذكره عن ابن عباس رضي الله عنهما النحاس في معاني القرآن ٤٩٢/٥، وأخرجه عنه سعيد بن منصور وابن المنذر، كما في الدر المنثور ٢٦٣/٥. وذكره عن الضحاك ومقاتل الواحدي في الوسيط ٥١٣/٣، والبعوي ١٢/٤.

(٣) في (م): فكل زوج صنف.

الملائكة. ويجوزُ ألا يعلمه مخلوق. ووجه الاستدلال في الآية: أنه إذا انفردَ بالخلقِ فلا ينبغي أن يُشركَ به.

قوله تعالى: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ آيَلٌ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ آيَلٌ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ أي: وعلامةٌ دالةٌ على توحيدِ الله وقدرته ووجوبِ إلهيته. والسَّلَخُ: الكَشَطُ والنزَعُ؛ يقال: سلخه الله من دينه، ثم تُستعمل بمعنى الإخراج. وقد جعلَ ذهابَ الضوءِ ومجيءَ الظلمةِ كالسَّلَخِ من الشيء وظهورِ المسلوخ، فهي استعارة.

﴿مُظْلِمُونَ﴾: داخلون في الظلام؛ يقال: أظلمنا، أي: دخلنا في ظلام الليل، وأظهرنا: دخلنا في وقتِ الظُّهر، وكذلك أصبحنا وأضحينا وأمسينا. وقيل: «منه» بمعنى: عنه، والمعنى: نسلخ عنه ضياءَ النهار. «فإذا هم مُظْلِمُونَ» أي: في ظلمة؛ لأنَّ ضوءَ النهارِ يتداخلُ في الهواءِ فيضيءُ، فإذا خرج منه أظلم<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ يجوزُ أن يكون تقديره: وآيةٌ لهم الشمسُ. ويجوز أن يكون «الشمس» مرفوعاً بإضمارِ فعلٍ يفسره الثاني. ويجوز أن يكون مرفوعاً بالابتداء<sup>(٢)</sup> ﴿تَجْرِي﴾ في موضعِ الخبر، أي: جاريةٌ.

وفي «صحيح» مسلم عن أبي ذرٍّ قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ قال «مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ»<sup>(٣)</sup>.

وفيه عن أبي ذرٍّ أن النبي ﷺ قال يوماً: «أتَدْرُونَ أين تذهبُ هذه الشمسُ؟» قالوا: اللهُ ورسوله أعلمُ. قال: «إنَّ هذه تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخْرُجُ

(١) النكت والعيون ١٧/١٥.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٩٤.

(٣) صحيح مسلم (١٥٩): (٢٥١)، وهو عند أحمد (٢١٤٠٦)، والبخاري (٤٨٠٣).

ساجدة، فلا تَزَالُ كذلك حَتَّى يُقَالَ لها: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي من حيثِ جِئْتِ، فترْجِعُ، فتُصْبِحُ طالِعةً من مَطْلِعِهَا، ثم تَجْرِي حَتَّى تنتهي إلى مستقرِّها تحت العرشِ، فتَخْرُجُ ساجدةً، ولا تَزَالُ كذلك حَتَّى يُقَالَ لها: ارتفعي، ارجعي من حيثِ جِئْتِ، فترجع، فتُصْبِحُ طالِعةً من مَطْلِعِهَا، ثم تَجْرِي لا يَسْتَنكِرُ الناسُ منها شيئاً حتى تنتهي إلى مستقرِّها ذاك تحت العرش، فيقال لها: ارتفعي، أَصْبِحِي طالِعةً من مَغْرِبِكِ، فتُصْبِحُ طالِعةً من مَغْرِبِهَا» فقال رسول الله ﷺ: «أتدرون متى ذلكم؟ ذاك حين ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْتِنَاهَا لَمَّا تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلِ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]»<sup>(١)</sup>.

ولفظ البخاري: عن أبي ذرٍّ قال: قال النبي ﷺ لأبي ذرٍّ حين غَرَبَت الشمسُ: «تَدْرِي أين تَذْهَبُ؟» قلتُ: اللّهُ ورسولُهُ أَعْلَمُ، قال: «فإنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تحت العرشِ، فتستأذِنُ فيؤذَنُ لها، ويُوشِكُ أن تَسْجُدَ فلا يُقْبَلُ منها، وتستأذِنُ فلا يؤذَنُ لها، يقال لها: ارْجِعِي من حيثِ جِئْتِ، فتَطْلُعُ من مَغْرِبِهَا فذلك قولُهُ تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾»<sup>(٢)</sup>.

ولفظ الترمذي: عن أبي ذرٍّ قال: دخلتُ المسجدَ حين غابت الشمسُ والنبي ﷺ جالسٌ. فقال النبي ﷺ: «يا أبا ذرٍّ، أتدري أين تذهب هذه؟» قال: قلتُ: اللّهُ ورسولُهُ أَعْلَمُ؛ قال: «فإنَّهَا تذهبُ فتستأذِنُ في السُّجودِ فيؤذَنُ لها، وكأنَّهَا قد قيل لها: اطلُعي من حيثِ جِئْتِ، فتَطْلُعُ من مَغْرِبِهَا» قال: ثم قرأ: «ذلك مُسْتَقَرٌّ لها» قال: وذلك قراءةُ عبدِ اللّهِ. قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ<sup>(٣)</sup>.

وقال عكرمة: إن الشمس إذا غَرَبَت دخلت محراباً تحت العرش تسبِّحُ اللّهُ حتى تصبِحُ، فإذا أصبحت استعفت ربَّها من الخروج، فيقول لها الربُّ: ولم ذاك؟ قالت:

(١) صحيح مسلم (١٥٩): (٢٥٠)، وهو بنحوه عند أحمد (٢١٤٥٩).

(٢) صحيح البخاري (٣١٩٩).

(٣) سنن الترمذي (٣٢٢٧)، وأخرجه البخاري (٧٤٢٤)، ومسلم (١٥٩): (٢٥٠)، وبنحوه عند أحمد

إني إذا خرجتُ عِدْتُ من دونك. فيقول الربُّ تبارك وتعالى: اخرجي، فليس عليك من ذلك شيءٌ، سأبعثُ إليهم<sup>(١)</sup> جهنَّمَ مع سبعين ألفَ ملكٍ يقودونها حتى يُدخلوهم فيها.

وقال الكلبي وغيره: المعنى: تجري إلى أبعِدِ منازلها في الغروب، ثم ترجع إلى أدنى منازلها<sup>(٢)</sup>، فمستقرُّها بلوغُها الموضعَ الذي لا تتجاوزُه بل ترجعُ منه، كالإنسان يقطعُ مسافةً حتى يبلغَ أقصى مقصوده فيقضي وَطْرَه، ثم يرجعُ إلى منزله الأوَّل الذي ابتداءً منه سَفَرَه. وعلى تبليغِ الشمسِ أقصى منازلها، وهو مستقرُّها إذا طلعت الهنعة<sup>(٣)</sup>، وذلك اليومُ أطولُ الأيامِ في السَّنة، وتلك الليلةُ أقصرُ الليالي، فالنَّهارُ خمسَ عشرةَ ساعةً، والليلُ تسعَ ساعات. ثم يأخذُ في النقصانِ وترجعُ الشمسُ، فإذا طلعت الثريا استوى الليلُ والنهارُ، وكلُّ واحدٍ ثنتا عشرةَ ساعةً. ثم تبلغُ أدنى منازلها وتطلعُ النَّعائم<sup>(٤)</sup>، وذلك اليومُ أقصرُ الأيامِ، والليلُ خمسَ عشرةَ ساعةً. حتى إذا طلع فرغُ الدُّلوِ المؤخَّر<sup>(٥)</sup> استوى الليلُ والنهارُ، فيأخذُ الليلُ من النهارِ كلَّ يومٍ عُشرَ ثلثِ ساعة، وكلَّ عشرةِ أيامٍ ثلثَ ساعةٍ، وكلَّ شهرٍ ساعةً تامَّةً، حتى يستويا، ويأخذُ الليلُ حتى يبلغَ خمسَ عشرةَ ساعةً، ويأخذُ النهارُ من الليلِ كذلك. وقال الحسن: إنَّ للشمسِ في السنة ثلاثَ مئةٍ وستينَ مطلعاً، تنزلُ في كلِّ يومٍ مطلعاً، ثم لا تنزلُه إلى

(١) في (خ): عليهم.

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ١٧/٥.

(٣) الهنعة: كوكبان بينهما قيد سوط، وهي منزل من منازل القمر، ينظر الأزمنة والأمكنة ١٧٦/١ و١٧٩. ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلاً على ما يأتي، وفي العمدة لابن رشيقي ٢/٢٥٣: السنة ثلاث مئة وخمسة وستون يوماً، وهو المقدار الذي تقطع فيه الشمس بروج الفلك الاثني عشر، لكل برج منزلتان وثلث منزلة. وينظر ما سيأتي ص ٣١ من هذا الجزء.

(٤) منزل من منازل القمر، وهو ثمانية كواكب. ينظر الأزمنة والأمكنة ١٧٦/١ و١٨٤.

(٥) من منازل القمر، وهما فرغان؛ فرغ الدلو المقدم، وفرغ الدلو المؤخَّر، وكلُّ واحدٍ منهما كوكبان الصحاح (فرغ)، وينظر الأزمنة والأمكنة ١٨٥/١.

الحول، فهي تجري في تلك المنازل، وهي مستقرها<sup>(١)</sup>. وهو معنى الذي قبله سواء.  
وقال ابن عباس: إنها إذا غربت وانتهت إلى الموضع الذي لا تتجاوزهُ استقرت  
تحت العرش إلى أن تطلع.

قلت: ما قاله ابنُ عباس يجمعُ الأقوال فتأملهُ.

وقيل: إلى انتهاء أمدِها عند انقضاء الدنيا.

وقرأ ابن مسعود وابنُ عباس: «والشمسُ تجري لا مُستقرَّ لها» أي: إنها تجري  
في الليل والنهار لا وقوف لها ولا قرار<sup>(٢)</sup>، إلى أن يُكورها اللهُ يومَ القيامة. وقد احتجَّ  
مَنْ خالفَ المصحفَ فقال: أنا أقرأُ بقراءةِ ابنِ مسعودِ وابنِ عباس. قال أبو بكر  
الأنباري: وهذا باطلٌ مردودٌ على مَنْ نَقَلَهُ؛ لأنَّ أبا عمرو رَوَى عن مجاهدٍ عن ابن  
عباس، وابنُ كثير رَوَى عن مجاهدٍ عن ابن عباس: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾  
فهذان السَّنَدانِ عن ابن عباس - اللذان يشهدُ بصحَّتهما الإجماعُ - يُبطلان ما روي  
بالسند الضعيف ممَّا يخالفُ مذهبَ الجماعة وما اتفقت عليه الأمة.

قلت: والأحاديثُ الثابتةُ التي ذكرناها تردُّ قوله، فما أجرأه على كتاب الله،  
قاتله الله.

وقوله: ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ أي: إلى مستقرها، والمستقرُّ: موضعُ القرار. ﴿ذَلِكَ

تَقْدِيرٌ﴾ أي: الذي ذكر من أمر الليل والنهار والشمسِ تقديرٌ ﴿الْمَرْزِقِ الْعَلِيِّ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾ ﴿٣٧﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرُ﴾ يكونُ تقديرُهُ: وآيةٌ لهم القمرُ. ويجوزُ أن يكونَ

(١) أخرجه بنحوه الطبري ٢٣/٢٨٣ عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولم نقف عليه من الحسن.

(٢) النكت والعيون ٥/١٧، والقراءة في المحتسب ٢/٢١٢.

«والقمر» مرفوعاً بالابتداء. وقرأ الكوفيون ﴿وَالْقَمَرَ﴾ بالنصب على إضمار فعل<sup>(١)</sup>، وهو اختيار أبي عبيد؛ قال: لأنَّ قبله فعلاً وبعده فعلاً؛ قبله: «نسلخ»، وبعده «قَدَرْنَاهُ». النحاس<sup>(٢)</sup>: وأهل العربية جميعاً فيما علمت على خلاف ما قال، منهم الفراء<sup>(٣)</sup>؛ قال: الرفع أعجب إليّ. وإنَّما كان الرفع عندهم أولى؛ لأنه معطوف على ما قبله، ومعناه: وآية لهم القمر. وقوله: إنَّ قبله «نسلخ»، فقَبَلَهُ ما هو أقرب [إليه] منه وهو «تَجْرِي» وقبله «والشمس» بالرفع. والذي ذكَّره بعده وهو «قَدَرْنَاهُ» قد عمل في الهاء. قال أبو حاتم: الرفع أولى؛ لأنك شغلت الفعل عنه بالضمير، فرفعتَه بالابتداء.

ويقال: القمر ليس هو المنازل، فكيف قال: ﴿قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ﴾؟ ففي هذا جوابان: أحدهما: قَدَرْنَاهُ ذا منازل، مثل: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]. والتقدير الآخر: قَدَرْنَا له منازل، ثم حذفت اللام، وكان حذُفها حسناً لتعدي الفعل إلى مفعولين، مثل: ﴿وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ [الأعراف: ١٥٥].

والمنازل ثمانية وعشرون منزلاً، ينزل القمر كل ليلة منها بمنزل، وهي: الشَّرَطَان. البُطَيْن. الثُّرَيَّا. الدَّبْرَان. الهَقْعَة. الهَنْعَة. الذُّرَاع. النُّثْرَة. الطَّرْف. الجَبْهَة. الحَرَاتَان. الصَّرْفَة. العَوَاء. السَّمَاك. العَفْر. الرُّبَانِيَان. الإكْلِيل. القَلْب. السُّوْلَة. النَّعَام. البَلْدَة. سَعْدُ الذَّابِح. سَعْدُ بُلْع. سَعْدُ السُّعُود. سَعْدُ الأُخْبِيَة. الفَرْعُ المَقْدَم. الفَرْعُ المُوَخَّر. بطنُ الحوت<sup>(٤)</sup>. فإذا صار القمر في آخرها عاد إلى أولها، فيقطع الفلك في ثمان وعشرين ليلةً. ثم يَسْتَسِرُّ، ثم يطلع هلالاً، فيعود في قطع الفلك على المنازل، وهي منقسمة على البروج لكل برج منزلان وثلاث. فللحمَل الشَّرَطَانُ والبُطَيْنُ وثلاث

(١) وهي قراءة عاصم وابن عامر وحزمة والكسائي. السبعة ص ٥٤٠، والتيسير ص ١٨٤.

(٢) في إعراب القرآن ٣/ ٣٩٤، وما قبله وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٣) في معاني القرآن ٢/ ٣٧٨.

(٤) ذكرها المرزوقي في الأزمنة والأمكنة ١/ ١٧٦ - ١٨٦، وابن رشيق في العمدة ٢/ ٢٥٣ - ٢٥٧،

وينظر شرحها فيهما.

الثريا، وللشور ثلثا الثريا والدبران وثلثا الهقعة، ثم كذلك إلى سائرهما. وقد مضى في «الحجر» تسمية البروج<sup>(١)</sup>، والحمد لله.

وقيل: إن الله تعالى خلق الشمس والقمر من نار، ثم كسبها النور عند الطلوع، فأما نور الشمس فمن نور العرش، وأما نور القمر فمن نور الكرسي، فذلك أصل الخلقة وهذه الكسوة. فأما الشمس فتركبت كسوتها على حالها لتشعيع وتشرق، وأما القمر فأمر الروح الأمين جناحه على وجهه فمحا ضوءه بسلطان الجناح، وذلك أنه روح، والروح سلطانه غالب على الأشياء. فبقي ذلك المحو على ما يراه الخلق، ثم جعل في غلاف من ماء، ثم جعل له مجرى، فكل ليلة يبدو للخلق من ذلك الغلاف قمراً بمقدار ما يُقَمَّر لهم<sup>(٢)</sup>، حتى ينتهي بدؤه ويراه الخلق بكماله واستدارته. ثم لا يزال يعود إلى الغلاف كل ليلة شيء منه، فينقص من الرؤية والإقمار بمقدار ما زاد في البدء. ويبتدئ في النقصان من الناحية التي لا تراه الشمس، وهي ناحية الغروب، حتى يعود كالعرجون القديم، وهو العذق المتقوس لئيبسه ودقته. وإنما قيل: القمر؛ لأنه يُقَمَّر، أي: يُبَيِّضُ الجوَّ ببياضه إلى أن يستسِرَّ.

الثانية: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ قال الزجاج: هو عود العذق الذي عليه الشماريخ، وهو فُعلون من الانعراج، وهو الانعطاف، أي: سار في منازلها، فإذا كان في آخرها دقاً واستقوسَ وضاق حتى صار كالعرجون<sup>(٣)</sup>. وعلى هذا فالنون زائدة. وقال قتادة: هو العذق اليابس المنحني من النخلة<sup>(٤)</sup>.

ثعلب: «كالعرجون القديم» قال: العرجون: الذي يبقى من الكباسة في النخلة إذا

(١) ١٨٦/١٢.

(٢) كلام ظاهر البطلان.

(٣) بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٢٨٧/٤، والكشاف ٣٢٣/٣.

(٤) أخرجه عبد الرزاق ١٤١/٢.

قُطِعَتْ، و«القديم»: البالي<sup>(١)</sup>.

الخليل - في بابِ الرباعيِّ -: العُرْجُونُ أصلُ العِدْقِ، وهو أصفرٌ عريضٌ يشبّه به الهلالُ إذا انحنى<sup>(٢)</sup>.

الجوهري<sup>(٣)</sup>: العُرْجُونُ: أصلُ العِدْقِ الذي يَعْوَجُ وتُقَطَّعُ منه الشماريخُ، فيبقى على النخلِ يابساً، وعَرْجَنُه: ضَرْبُه بالعُرْجُونِ. فالنونُ على قولِ هؤلاء أصليّةٌ، ومنه شعرُ أعشى بني قيس:

شَرَقَ الْمَسْكَ وَالْعَبِيرُ بِهَا      فهي صفراءُ كعُرْجُونِ الْقَمَرِ<sup>(٤)</sup>  
فالعرجونُ إذا عَتَقَ وَيَسَّ وتَقَوَّسَ شُبّه القمَرُ في دَقَّتِه وضَفَرَتِه به. ويقال له أيضاً:  
الإهان والكِبَاسَةُ والقِنُو، وأهلُ مصرَ يسمُّونه الإِسْبَاطَةَ.

وقرئ: «العِرْجُونُ» بوزن الفِرْجُونِ<sup>(٥)</sup>، وهما لغتان، كالبزُّيونَ والبزُّيونَ؛ ذكره الزمخشري<sup>(٦)</sup> وقال: هو عودُ العِدْقِ ما بين شماريخه إلى منبته من النخلة.

واعلم أن السَّنَةَ منقسمةٌ على أربعةِ فصولٍ، لكلِّ فصلٍ سبعةُ منازلٍ: فأولُها الربيعُ، وأولُه خمسةُ عشرَ يوماً من آذار، وعددُ أيامه اثنان وتسعون يوماً، تقطعُ فيه

(١) ياقوتة الصراط لغلام ثعلب ص ٤٢٢. والكِبَاسَةُ: العِدْقُ التام بشماريخه ورُطْبِه. معجم متن اللغة (كيس).

(٢) بنحوه في العين ٣٢٠/٢.

(٣) في الصحاح (عرجن).

(٤) النكت والعيون ١٨/٥، وليس هو في ديوان أعشى قيس، وهو في المفضليات ص ٩٢، والعمدة لابن رشيقي ١١٨/٢ منسوب للمرَّار بن منقذ، وبلا نسبة في العين ١٨٢/١، واللسان (عيق)، وروايته في هذه المصادر عدا النكت: عَيْقُ العنبرِ والمسكُ بها، وفي المفضليات والعمدة: ... كعرجون العمر.

(٥) الفِرْجُونُ، كِبْرَدُونُ: المِحْسَةُ (آلة من حديد لها أسنان تنظف بها الدابة) القاموس والمعجم الوسيط (فرجن).

(٦) في الكشاف ٣/٣٢٣، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٢٥. والبزُّيونَ؛ كجِرْدُخْلٍ وعُصْفُورٍ: السندس. القاموس (بزين).

الشمسُ ثلاثة بروج: الحَمَل، والشور، والجَوَازء، وسبعة منازل: الشَّرطان، والبُطِين، والثُّرَيَّا، والدَّبْران، والهَقْعَة، والهَنْعَة، والدُّرَاع. ثم يدخلُ فصلُ الصيف في خمسة عشر يوماً من حَزيران، وعددُ أيامه اثنان وتسعون يوماً، تقطُعُ الشمسُ فيه ثلاثة بروج: الشَّرطان، والأسد، والسُّنْبِلَة، وسبعة منازل؛ وهي: النَّثْرَة، والظَّرْف، والجِبْهَة، والحَرَاتان، والصَّرْفَة، والعوَاء، والسَّمَاك. ثم يدخلُ فصلُ الخريف في خمسة عشر يوماً من أيلول، وعددُ أيامه أحدٌ وتسعون يوماً، تقطُعُ فيه الشمسُ ثلاثة بروج، وهي الميزان، والعقرب، والقوس، وسبعة منازل: العَفْر، والزُّبانان، والإكليل، والقلب، والسَّوْلَة، والنعائم، والبلدة. ثم يدخلُ فصلُ الشتاء في خمسة عشر يوماً من كانون الأوّل، وعددُ أيامه تسعون يوماً، وربما كان أحداً وتسعين يوماً، تقطُعُ فيه الشمسُ ثلاثة بروج؛ وهي: الجَدْي، والدَّلُو، والحوت، وسبعة منازل: سعد الذَّابِح، وسعد بُلَع، وسعد السُّعود، وسعد الأَخِيبة، والفَرغُ المقَدَّم، والفرغ المؤخَّر، وبطن الحوت. وهذه قسمة السريانيين لشهورها: تشرين الأوّل، تشرين الثاني، كانون الأوّل، كانون الثاني، أشباط<sup>(١)</sup>، آذار، نيسان، أيار، حَزيران، تَمُوز، آب، أيلول، وكلُّها أحدٌ وثلاثون إلا تشرينَ الثاني ونيسانَ وحزيرانَ وأيلول، فهي ثلاثون، وأشباط ثمانية وعشرون يوماً وربيع يوم.

وإنما أردنا بهذا أن ننظر في قدرة الله تعالى، فذلك قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ﴾. فإذا كانت الشمسُ في منزلٍ أهلَّ الهلالَ بالمنزل الذي بعده، وكان الفجرُ بمنزلتين من قبْلِهِ. فإذا كانت الشمسُ بالثريا في خمسة وعشرين يوماً من نيسان، كان الفجرُ بالشَّرطَيْن، وأهلَّ الهلالُ بالدَّبْران، ثم يكون له في كلِّ ليلةٍ منزلةٌ حتى يقطع في ثمانٍ وعشرين ليلةً ثمانيةً وعشرين منزلةً، وقد قطعت الشمسُ منزلتين فيقطعُهما، ثم يَظْلَعُ في المنزلة التي بعدَ منزلةِ الشمسِ ف ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) وفي القاموس: شَباط، كَثْرَاب.

(٢) من قوله: واعلم أن السنة منقسمة، إلى هذا الموضع وقع في (خ) و(ظ) قبل المسألة الثانية.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿الْفَكْدِيرِ﴾ قال الزمخشري<sup>(١)</sup>: القديم: المَحْوَلُ<sup>(٢)</sup>، وإذا قَدُم؛ دَقَّ وانحنى واصفراً، فشبَّه القمرُ به من ثلاثة أوجه. وقيل: أقلُّ عدَّة الموصوفِ بالقديم<sup>(٣)</sup> الحَوَلُ، فلو أنَّ رجلاً قال: كلُّ مملوكٍ لي قديمٍ فهو حرٌّ، أو كَتَبَ ذلك في وصيته، عتقَ مَنْ مَضَى له حَوْلٌ أو أكثر.

قلت: قد مضى في «البقرة» ما يترتب على الأهلَّة من الأحكام<sup>(٤)</sup>، والحمد لله.

قوله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آيَاتُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ رُفِعَت «الشمس» بالابتداء، ولا يجوزُ أن تعمل «لا» في معرفة. وقد تكلم العلماء في معنى هذه الآية، فقال بعضهم: معناها أن الشمس لا تُدْرِكُ القمرَ فتُبْطِلُ معناه<sup>(٥)</sup>، أي: لكلِّ واحدٍ منهما سلطانٌ على حياله، فلا يَدْخُلُ أحدهما على الآخر فيذهب سلطانه، إلى أن يُبْطِلَ الله ما دَبَّرَ من ذلك، فتطلع الشمسُ من مغربها على ما تقدَّم في آخر سورة الأنعام بيانه<sup>(٦)</sup>. وقيل: إذا طلعت الشمسُ لم يكن للقمر ضوءٌ، وإذا طلع القمرُ لم يكن للشمس ضوءٌ. روي معناه عن ابن عباس والضحاك<sup>(٧)</sup>.

وقال مجاهد: أي: لا يُشْبِهُ ضوءُ أحدهما ضوءَ الآخر<sup>(٨)</sup>.

(١) في الكشاف ٣/٣٢٣.

(٢) من أَحْوَلٌ، يقال: أَحْوَلُ بالمكان، أي: أقام به حَوْلًا. ينظر القاموس (حول).

(٣) في الكشاف: أقلُّ مدة الموصوف بالقدم.

(٤) ٢٢٨/٣ وما بعدها.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٩٥.

(٦) ١٢٧/٩ وما بعدها.

(٧) أخرجه الطبري ١٩/٤٤٠ عن الضحاك، ولم تقف عليه عن ابن عباس.

(٨) النكت والعيون ٥/١٨، وعلقه البخاري عنه قبل الحديث (٤٨٠٢) وفيه: لا يستر، بدل: لا يشبه،

وكذا أخرجه الطبري ١٩/٤٣٩.

وقال قتادة: لكلُّ حدٍّ وعَلَمٌ لا يَعدُّوه ولا يقصرُ دونه، إذا جاء سلطانُ هذا ذهب هذا<sup>(١)</sup>.

وقال الحسن: إنهما لا يجتمعان في السماء ليلة الهلالِ خاصة<sup>(٢)</sup>. أي: لا تبقى الشمسُ حتى يَطلُعَ القمر، ولكن إذا غرَبَت الشمسُ طلع القمر.

يحيى بن سلام: لا تُدرِكُ الشمسُ القمرَ ليلةَ البدرِ خاصة؛ لأنه يبادر بالمغيبِ قبل طلوعها. وقيل: معناه: إذا اجتمعا في السماء كان أحدهما بين يدي الآخرِ في منازل لا يَشْتَرِكَانِ فيها؛ قاله ابنُ عباسٍ أيضاً<sup>(٣)</sup>.

وقيل: القمرُ في السماء الدنيا، والشمسُ في السماء الرابعة، فهي لا تُدرِكه؛ ذكره النحاس<sup>(٤)</sup> والمهدوي.

قال النحاس: وأحسنُ ما قيل في معناها وأبينهُ ممَّا لا يُدْفَعُ: أنَّ سَيْرَ القمرِ سَيْرٌ سريع، والشمسُ<sup>(٥)</sup> لا تُدرِكُهُ في السَّيرِ؛ ذكره المهدوي أيضاً.

فأمَّا قوله سبحانه: ﴿وَجِئَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٩] فذلك حين حَبَسِ الشمسُ عن الطُّلوعِ، على ما تقدَّم بيانهُ في آخِرِ «الأنعام»<sup>(٦)</sup>، ويأتي في سورة القيامة أيضاً. وجمعهما علامةٌ لانقضاءِ الدنيا وقيام الساعة.

﴿وَكُلٌّ﴾ يعني من الشمس والقمر والنجوم ﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ أي: يَجْرُونَ. وقيل: يَدُورُونَ. ولم يَقُلْ: تَسْبَحُ؛ لأنه وَصَفَهَا بِفِعْلِ مَنْ يَغْقِلُ.

وقال الحسن: الشمسُ والقمرُ والنجومُ في فَلَكٍ بين السماء والأرض غير

(١) في (م): ذهب سلطان هذا، والخبر أخرجه الطبري ٤٣٩/١٩.

(٢) النكت والعيون ١٨/٥، وأخرجه عبد الرزاق ١٤٣/٢.

(٣) النكت والعيون ١٨/٥، وقول ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه الطبري ٤٤٠/١٩ بنحوه.

(٤) في إعراب القرآن ٣/٣٩٥.

(٥) في إعراب القرآن: فالشمس.

(٦) ١٢٩/٩.

مُلْصَقَةً، ولو كانت مُلْصَقَةً ما جَرَتْ؛ ذكره الثعلبي والماوردي<sup>(١)</sup>.

واستدلَّ بعضهم بقوله تعالى: ﴿وَلَا آيِلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ على أنَّ النهار مخلوقٌ قبل الليل، وأنَّ الليل لم يَسْبِقْهُ بِخَلْقِهِ<sup>(٢)</sup>.

وقيل: كلُّ واحدٍ منهما يجيءُ وقتُه ولا يَسْبِقُ صاحبه، إلى أن يُجمَعَ بين الشمس والقمر يومَ القيامة، كما قال: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٩]، وإنَّما هذا التعاقبُ الآن لتتمَّ مصالحُ العباد ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ النَّيِّينَ وَالْحَسَابِ﴾ [الإسراء: ١٢] ويكونُ الليلُ للإجمام والاستراحة، والنهارُ للتصرف، كما قال تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِي جَعَلْتُ لَكَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ [القصص: ٧٣] وقال: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبأ: ٩] أي: راحةً لأبدانكم من عمل النهار. فقوله: ﴿وَلَا آيِلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ أي: غالب النهار؛ يقال: سبق فلانٌ فلاناً، أي: غلبه.

وذكر المبرِّد قال: سمعتُ عماراً<sup>(٣)</sup> يقرأ: «ولا الليلُ سابقُ النهار» فقلت: ما هذا؟ قال: أردتُ: سابقُ النهار، فحذفتُ التنوين لأنه أخف. قال النحاس<sup>(٤)</sup>: يجوزُ أن يكون «النهار» منصوباً بغير تنوين، ويكون التنوينُ حذَفَ لالتقاء الساكنين.

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّهُ لَمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ﴾ ٤١ ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ ٤٢ ﴿وَلِنَسْأُ نَعْرِفَهُمْ فَلَا صِرَاحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُفْقَدُونَ﴾ ٤٣ ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ ٤٤

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّهُ لَمْ﴾ يَحْتَمِلُ ثَلَاثَةَ مَعَانٍ: أحدها: عِبْرَةٌ لَهُمْ؛ لأنَّ في الآياتِ اعتباراً. الثاني: نعمةٌ عليهم؛ لأنَّ في الآياتِ إنعاماً. الثالث: إنذارٌ لهم؛ لأنَّ

(١) في النكت والعيون ١٨/٥.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٩٥.

(٣) ابن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية اليربوعي، يكنى أبا عقيل، شاعر فصيح قدم من اليمامة فمدح المأمون، وبقي إلى أيام الواثق ومدحه. معجم الشعراء للمرزباني ص ٧٨.

(٤) في إعراب القرآن ٣/٣٩٥ - ٣٩٦، وما قبله منه.

في الآيات إنذاراً<sup>(١)</sup>.

﴿أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ<sup>(٢)</sup> فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ مِنْ أَشْكَلِ مَا فِي السُّورَةِ؛ لِأَنَّهُمْ هُمُ الْمَحْمُولُونَ<sup>(٣)</sup>. فْقِيلَ: الْمَعْنَى: وَآيَةٌ لِأَهْلِ مَكَّةَ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّةَ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ، فَالضَّمِيرَانِ مُخْتَلِفَانِ؛ ذَكَرَهُ الْمَهْدِيُّ. وَحَكَاهُ النَّحَّاسُ<sup>(٤)</sup> عَنْ عَلِيِّ بْنِ سَلِيمَانَ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُهُ.

وَقِيلَ: الضَّمِيرَانِ جَمِيعاً لِأَهْلِ مَكَّةَ، عَلَى أَنْ يَكُونَ ذُرِّيَّتَهُمْ أَوْلَادَهُمْ وَضِعْفَاءَهُمْ. فَالْفُلْكَ عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ سَفِينَةُ نُوحٍ. وَعَلَى الثَّانِي يَكُونُ اسْمًا لِلْجِنْسِ؛ خَبْرٌ جَلٌّ وَعَزٌّ بِلُطْفِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَنَّهُ خَلَقَ السَّفْنَ يُحْمَلُ فِيهَا مَنْ يَضَعُبُ عَلَيْهِ الْمَشْيُ وَالرَّكُوبُ مِنَ الذَّرِّيَّةِ وَالضَّعْفَاءِ، فَيَكُونُ الضَّمِيرَانِ عَلَى هَذَا مُتَّفَقَيْنِ.

وَقِيلَ: الذَّرِّيَّةُ: الْآبَاءُ وَالْأَجْدَادُ، حَمَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي سَفِينَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَالآبَاءُ ذُرِّيَّةٌ، وَالْأَبْنَاؤُ ذُرِّيَّةٌ، بِدَلِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ؛ قَالَ أَبُو عَثْمَانَ. وَسَمِيَ الْآبَاءُ ذُرِّيَّةً؛ لِأَنَّ مِنْهُمْ ذُرّاً الْآبْنَاؤُ<sup>(٥)</sup>.

وَقَوْلُ رَابِعٍ: أَنَّ الذَّرِّيَّةَ النُّطْفُ، حَمَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي بَطُونِ النِّسَاءِ تَشْبِيهاً بِالْفُلْكِ الْمَشْحُونِ؛ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام؛ ذَكَرَهُ الْمَاورِدِيُّ<sup>(٦)</sup>. وَقَدْ مَضَى فِي «الْبَقْرَةِ» اشْتِقَاقُ الذَّرِّيَّةِ وَالْكَلَامُ فِيهَا مُسْتَوْفَى<sup>(٧)</sup>. وَ«الْمَشْحُونِ»: الْمَمْلُوءُ الْمُؤَقَّرُ، وَ«الْفُلْكَ» يَكُونُ وَاحِداً وَجَماعاً. وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي «يُونُسَ» الْقَوْلُ فِيهِ<sup>(٨)</sup>.

(١) النكت والعيون ١٩/٥ .

(٢) بالجمع، قراءة نافع وابن عامر من السبعة، وقرأ الباقون: «ذريتهم» بالتوحيد. السبعة ص ٥٤٠ ، والتيسير ص ١٨٤ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٩٦ .

(٤) في إعراب القرآن ٣/٣٩٦ .

(٥) النكت والعيون ١٩/٥ ، وفيه: أبان بن عثمان، بدل: أبو عثمان.

(٦) في النكت والعيون ١٩/٥ . وقال أبو حيان في البحر ٧/٣٣٨: وهذا لا يصح؛ لأنه نوعٌ من تفسير الباطنية وغلاة المتصوفة الذين يفسرون كتاب الله على شيء لا يدلُّ عليه اللفظ بجهة من جهات الدلالة، يحرفون الكلم عن مواضعه.

(٧) ٣٦٨/٢ .

(٨) ٤٧٤/١٠ ، وينظر في الكلام فيه أيضاً ٤٩٤/٢ .

قوله تعالى: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ والأصل: يركبونه، فحذفت الهاء لطول الاسم وأنه رأسُ آية. وفي معناه ثلاثة أقوال:

مذهبُ مجاهدٍ وقتادةٍ وجماعةٍ من أهل التفسير، وروي عن ابن عباس: أن معنى «مِن مِّثْلِهِ» للإبل<sup>(١)</sup>، خَلَقَهَا لَهُم للركوب في البرِّ مثل السفن المركوبة في البحر، والعرب تشبهُ الإبلَ بالسفن؛ قال طرفة:

كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ عُدْوَةٌ      خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدٍ<sup>(٢)</sup>  
جمعُ خَلِيَّةٍ، وهي السفينةُ العظيمة.

والقولُ الثاني أنه للإبل والدوابِّ وكلُّ ما يُرْكَبُ.

والقولُ الثالث: أنه للسفن؛ النحاس؛ وهو أصحُّها؛ لأنه متَّصلُ الإسنادِ عن ابن عباس؛ ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ قال: خَلَقَ لَهُم سَفِينًا أَمْثَالَهَا يَرْكَبُونَ فِيهَا<sup>(٣)</sup>. وقال أبو مالك: إنها السفنُ الصغارُ خَلَقَهَا مِثْلَ السفنِ الكبار. وروي عن ابن عباس أيضاً والحسن<sup>(٤)</sup>. وقال الضحاك وغيره: هي السفنُ المتَّخذةُ بعد سفينةِ نوح<sup>(٥)</sup>.

قال الماوردي: وَيَجِيءُ عَلَى مَقْتَضَى تَأْوِيلِ عَلِيِّ ؑ فِي أَنَّ الذَّرِيَّةَ فِي الْفُلِّكَ الْمَشْحُونِ هِيَ النَّظْفُ فِي بَطُونِ النِّسَاءِ قَوْلُ خَامِسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ أَنْ يَكُونَ تَأْوِيلُهُ: النِّسَاءُ خُلِقْنَ لِرُكُوبِ الْأَزْوَاجِ، لَكِنْ لَمْ أَرَهُ مَحْكِيًّا<sup>(٦)</sup>!

قوله تعالى: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ أي: في البحر، فترجعُ الكنايةُ إلى أصحاب

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٩٦، دون قوله: وروي عن ابن عباس. وأخرجه عن ابن عباس ومجاهد الطبري ٤٤٦/١٩.

(٢) ديوان طرفة ص ٢٠، والنكت والعيون ٥/٢٠، والكلام منه. الحُدُوج جمع جُدج، وهو مَرْكَب من مراكب النساء. والمالكية منسوبة إلى مالك بن سعد بن ضبيعة. والنواصف جمع ناصفة، وهي الرجة الواسعة تكون في الوادي. ودد: موضع. اللسان (ددا).

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٩٦. والخبر أخرجه الطبري ٤٤٤/١٩.

(٤) أخرجه الطبري ٤٤٤/١٩ عن أبي مالك والحسن.

(٥) أخرجه الطبري ٤٤٥/١٩.

(٦) النكت والعيون ٥/٢٠، وسلف الكلام على خبر علي ؑ في تفسير الآية السابقة، وأنه من تحريف الكلم عن مواضعه.

الدُّرِّيَّةِ، أو إلى الجميع. وهذا يدلُّ على صحَّة قول ابن عباس ومَن قال: إِنَّ المراد «مِن مِثْلِهِ» السفنُ لا الإبل.

﴿فَلَا صَرِيحٌ لَهُمْ﴾ أي: لا مُغِيثَ لَهُمْ، رواه سعيدٌ عن قتادة. وَرَوَى شيبان عنه: فلا مَنَعَةٌ لَهُمْ<sup>(١)</sup>. ومعناها مُتقاربان. و«صَرِيحٌ» بمعنى مُصْرِحٌ، فعيلٌ بمعنى فاعل.

ويجوزُ: «فلا صَرِيحٌ لَهُمْ»<sup>(٢)</sup>؛ لأنَّ بعده ما لا يَجوزُ فيه إِلَّا الرَفْعُ؛ لأنَّه معرفةٌ وهو ﴿وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ﴾، والنحويون يختارون: لا رجلٌ في الدارِ ولا زيدٌ. ومعنى: «يُنْقَدُونَ»: يُخَلَّصُونَ مِنَ العَرَقِ. وقيل: من العذاب.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا﴾ قال الكسائيُّ: هو نصبٌ على الاستثناء. وقال الزجاج: نُصِبَ [لأنه] مفعولٌ من أجله، أي: للرحمة، ﴿وَمَتَاعًا﴾ معطوفٌ عليه<sup>(٣)</sup>.

﴿إِلَى حِينٍ﴾: إلى الموت؛ قاله قتادة. يحيى بن سلام: إلى القيامة<sup>(٤)</sup>، أي: إلى أن نَرَحَمَهُم ونَمَتَّعَهُم إلى آجالهم، وأنَّ الله عَجَّلَ عذابَ الأممِ السالفة، وأخَّرَ عذابَ أمةِ محمدٍ ﷺ - وإن كذَّبوه - إلى الموت والقيامة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٥٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ أَلَمْ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطِعِم مِّن لَّو يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعْمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٥٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ قال قتادة: يعني «اتَّقُوا

(١) النكت والعيون ٢٠/٥، وأخرج الأول عبد الرزاق ١٤٤/٢، والطبري ٤٤٧/١٩.

(٢) وقد قرئ بها كما ذكر العكبري في الإملاء ٢٢٩/٤.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣٩٧/٣، وما سلف بن حاصرتين منه، وقول الزجاج في معاني القرآن ٢٨٩/٤.

(٤) النكت والعيون ٢٠/٥، وقول قتادة أخرجه الطبري ٤٤٧/١٩.

ما بين أيديكم» أي: من الوقائع فيمن كان قبلكم من الأمم، «وما خلفكم» من الآخرة<sup>(١)</sup>.

ابن عباس وابن جبير ومجاهد: «ما بين أيديكم»: ما مضى من الذنوب، «وما خلفكم»: ما يأتي من الذنوب<sup>(٢)</sup>.

الحسن: «ما بين أيديكم»: ما مضى من أجلكم، «وما خلفكم»: ما بقي منه. وقيل: «ما بين أيديكم»: من الدنيا، «وما خلفكم»: من عذاب الآخرة؛ قاله سفيان<sup>(٣)</sup>. وحكى عكس هذا القول الثعلبي عن ابن عباس. قال: «ما بين أيديكم»: من أمر الآخرة فاعملوا لها<sup>(٤)</sup>، «وما خلفكم»: من أمر الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها.

وقيل: «ما بين أيديكم»: ما ظهر لكم، «وما خلفكم»: ما خفي عنكم. والجواب محذوف، والتقدير: إذا قيل لهم ذلك أعرضوا، دليله قوله بعد: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ فافتى بهذا عن ذلك. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: تصدقوا على الفقراء. قال الحسن: يعني اليهود، أمروا بإطعام الفقراء<sup>(٥)</sup>.

وقيل: هم المشركون قال لهم فقراء أصحاب النبي ﷺ: أعطونا ما زعمتم من أموالكم أنها لله، وذلك قوله: ﴿وَجَمَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْكَبِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: ١٣٦]. فحرموهم وقالوا: لو شاء الله أطعمكم - استهزاء - فلا نطعمكم حتى ترجعوا إلى ديننا. قالوا: ﴿أَنْطَعِمُ﴾ أي: أنرزق ﴿مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعَمَهُ﴾، كان بلغهم

(١) أخرجه عبد الرزاق ١٤٤/٢، والطبري ٤٤٨/١٩.

(٢) أخرجه الطبري ٤٤٨/١٩ عن مجاهد، ولم نقف عليه عن ابن عباس وابن جبير.

(٣) النكت والعيون ٢١/٥.

(٤) في النسخ: من أمر الآخرة وما عملوا لها، والمثبت من الوسيط ٥١٥/٣، وتفسير البغوي ١٤/٤.

(٥) النكت والعيون ٢١/٤.

من قول المسلمين: أن الرازق هو الله. فقالوا هزءاً: أنرزق من لو يشاء الله أغناه؟! (١)

وعن ابن عباس: كان بمكة زنادقة، فإذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا: لا والله، أيقره الله ونظعمه نحن! وكانوا يسمعون المؤمنين يعلقون أفعال الله تعالى بمشيئته فيقولون: لو شاء الله لأغنى فلاناً، ولو شاء الله لأعزه (٢)، ولو شاء الله لكان كذا. فأخرجوا هذا الجواب مُخرَج الاستهزاء بالمؤمنين، وبما كانوا يقولونه من تعليق الأمور بمشيئة الله تعالى.

وقيل: قالوا هذا تعلقاً بقول المؤمنين لهم: ﴿أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ أي: فإذا كان الله رزقنا فهو قادر على أن يرزقكم، فلم تلتمسون الرزق منا؟. وكان هذا الاحتجاج باطلاً؛ لأن الله تعالى إذا ملك عبداً مالا ثم أوجب عليه فيه حقاً؛ فكأنه انتزع ذلك القدر منه، فلا معنى للاعتراض. وقد صدقوا في قولهم: لو شاء الله أطعمهم، ولكن كذبوا في الاحتجاج. ومثله قوله: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وقوله: ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُتَنَفِّينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ قيل: هو من قول الكفار للمؤمنين، أي: في سؤال المال وفي اتباعكم محمداً. قال معناه مقاتل وغيره. وقيل: هو من قول أصحاب النبي ﷺ لهم. وقيل: هو من قول الله تعالى للكفار حين ردوا بهذا الجواب.

وقيل: إن أبا بكر الصديق ؓ كان يطعم مساكين المسلمين، فلقبه أبو جهل فقال: يا أبا بكر، أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء؟! قال: نعم. قال: فما بأله لم يُطعمهم؟ قال: ابتلى قوماً بالفقر، وقوماً بالغنى، وأمر الفقراء بالصبر، وأمر

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف ٣/٣٢٥ إلى قوله: لو شاء الله أطعمكم. وذكره بنحوه البغوي ٤/١٤، وابن الجوزي ٧/٢٤ وعزه لمقاتل.

(٢) في النسخ: لأعز، والمثبت من الكشاف ٣/٣٢٥، والكلام منه.

الأغنياء بالإعطاء. فقال: واللّه يا أبا بكر ما أنت إلا في ضلال! أتزعم أن الله قادرٌ على إطعام هؤلاء وهو لا يطعمهم، ثم تطعمهم أنت؟! فنزلت هذه الآية، ونزل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ الآيات [الليل: ٥-٦]<sup>(١)</sup>. وقيل: نزلت الآية في قوم من الزنادقة، وقد كان فيهم أقوامٌ يتزندقون فلا يؤمنون بالصانع، واستهزؤوا بالمسلمين بهذا القول؛ ذكره القشيريُّ والماورديُّ<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ لَمَّا قِيلَ لَهُمْ: ﴿اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ قالوا: ﴿مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ وكان هذا استهزاءً منهم أيضاً، أي: لا تحقيق لهذا الوعيد، قال الله تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ﴾ أي: ما ينتظرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَجِدَةً﴾ وهي نفخةٌ إسرافيلَ ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهَمٌّ يَخْصِمُونَ﴾ أي: يَخْصِمُونَ في أمورِ دنياهم، فيموتون في مكانهم؛ وهذه نفخةُ الصُّعْقِ.

وفي «يَخْصِمُونَ» خمسُ قراءاتٍ: قرأ أبو عمرو وابنُ كثير: ﴿وَهُمْ يَخْصِمُونَ﴾ بفتح الياء والخاء وتشديد الصاد. وكذا رَوَى وَرْشٌ عن نافع<sup>(٣)</sup>. فأما أصحابُ القراءاتِ وأصحابُ نافعٍ سوى ورشٍ قرؤوا عنه: «يَخْصِمُونَ» بإسكان الخاء وتشديد الصاد على الجمع بين ساكنين.

وقرأ يحيى بن وثابٍ والأعمشُ وحمزةُ: ﴿وَهُمْ يَخْصِمُونَ﴾ بإسكان الخاء وتخفيفِ الصاد؛ من خَصَمَهُ.

وقرأ عاصمٌ والكسائيُّ: ﴿وَهُمْ يَخْصِمُونَ﴾ بكسرِ الخاءِ وتشديدِ الصاد<sup>(٤)</sup>،

(١) لم تقف عليه.

(٢) في النكت والعيون ٥/٢١.

(٣) وهي قراءة هشام أيضاً. غير أن أبا عمرو كان يختلس فتحة الخاء. السبعة ص ٥٤١، والتيسير ص ١٨٤. والكلام من إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٩٧.

(٤) وقرأ بها أيضاً من السبعة ابن عامر في رواية ابن ذكوان. والكلام من إعراب القرآن للنحاس

ومعناه: يَخْصِمُ بعضهم بعضاً. وقيل: تأخذهم وهم عند أنفسهم يَخْتَصِمُونَ في الحجة أنهم لا يُعْثُونَ.

وقد روى ابنُ جُبَيْرٍ عن أبي بكر عن عاصم، وحماد عن عاصم كَسَرَ الياءِ والخاءِ والتشديد<sup>(١)</sup>.

قال النحاس: القراءةُ الأولى أئبئها. والأصلُ فيها: يَخْتَصِمُونَ، فأدغمت التاءُ في الصاد، فقلبت حركتها على الخاء<sup>(٢)</sup>، وفي حَرْفِ أَبِي: «وهم يَخْتَصِمُونَ». وإسكان الخاءِ لا يجوز؛ لأنه جمعٌ بين ساكنين وليس أحدهما حرف مدٍّ ولين<sup>(٣)</sup>. وقيل: أسكنوا الخاءَ على أصلها.

[فأما من قرأ: «يَخْصِمُونَ» فالتقدير: [يَخْصِمُ<sup>(٤)</sup> بعضهم بعضاً، فحذف المضاف<sup>(٥)</sup>، وجاز أن يكون المعنى: يَخْصِمُونَ مُجَادِلَهُمْ عند أنفسهم فحذف المفعول. قال الثعلبي: وهي قراءة أبي بن كعب.

قال النحاس<sup>(٦)</sup>: فأما «يَخْصِمُونَ» فالأصلُ فيه أيضاً: يَخْتَصِمُونَ، فأدغمت التاءُ في الصاد، ثم كسرت الخاءَ لالتقاء الساكنين. وزعم الفراء<sup>(٧)</sup> أن هذه القراءة أجود وأكثر؛ فترك ما هو أولى - من إلقاء حركة التاءِ على الخاء - واجتلب لها حركةً

(١) جامع البيان للداني ٣٦٦/٢. والمشهور عن عاصم فتح الياء كما سلف. وابن جبير هو أحمد بن جبير ابن محمد، أبو جعفر الكوفي المقرئ.

(٢) في (م): فنقلت حركتها إلى الخاء.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣٩٧/٣. وقراءة أبي ﴿﴾ ذكرها أيضاً الفراء في معاني القرآن ٣٧٩/٢.

(٤) قبلها في النسخ: والمعنى، والمثبت من الحجة للفارسي ٤٢/٦.

(٥) قال مكِّي في الكشف عن وجوه القراءات ٢١٧/٢: حذف المضاف، وهو «بعض» الأول، وقام الضمير المخفوض مقام «بعض» في الإعراب، فصار ضميراً مرفوعاً، فاستتر في الفعل؛ لأن المضمرة المرفوعة لا يفصل بعد الفعل، لا تقول: اختصمهم.

(٦) في إعراب القرآن ٣٩٨/٣.

(٧) في معاني القرآن له ٣٧٩/٢.

أخرى، وجمَعَ بين ياءٍ وكسرة، وزعم أنه أجودٌ وأكثر. وكيف يكون أكثرَ وبالفتح قراءة الخَلْقِ من أهل مكة وأهل البصرة وأهل المدينة!

وما زوي عن عاصمٍ من كسرِ الياءِ والخاءِ فللإتباع. وقد مضى هذا في «البقرة» في ﴿يَنْظُفُ أَبْصَرَهُمْ﴾ [الآية: ٢٠] وفي «يونس» في ﴿يَهْدِي﴾ [الآية: ٣٥].

وقال عكرمةٌ في قوله جلَّ وعزَّ: ﴿إِلَّا صَيَّحَةٌ وَنِدَّةٌ﴾ قال: هي النفخةُ الأولى في الصُّور. وقال أبو هريرة: يُنْفَخُ في الصُّور والناسُ في أسواقهم؛ فَمِنْ حَالِبٍ لَفْحَةٌ، ومن ذارعٍ ثوباً، ومن مارٌّ في حاجة<sup>(١)</sup>.

وروى نعيمٌ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تقومُ الساعةُ والرجلان قد نَشَرا ثوبهما يتبايعانه، فلا يَطْوِيانِه حتى تقومَ الساعةُ، والرجلُ يَلِيْطُ حوضَه لِيَسْقِي ماشيته، فما يسقيها حتى تقومَ الساعةُ، والرجلُ يَخْفِضُ ميزانه فما يرفعه حتى تقوم الساعةُ، والرجلُ يرفعُ أكلته إلى فيه، فما يَتَلْعَها<sup>(٢)</sup> حتى تقومَ الساعةُ»<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث عبد الله بن عمرو: «وأولُ مَنْ يسمعه رجلٌ يَلُوْطُ حوضَ إبله - قال - فَيَضَعُ وَيَضَعُ النَّاسَ» الحديث<sup>(٤)</sup>.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي: لا يستطيعُ بعضهم أن يوصيَ بعضاً لِمَا في يده من حقٍّ<sup>(٥)</sup>. وقيل: لا يستطيعُ أن يوصيَ بعضهم بعضاً بالتوبة والإقلاع، بل يموتون في أسواقهم ومواضعهم.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣/٣٩٨.

(٢) في (خ): يبلعها، وفي (م): يتبلعها.

(٣) النكت والعيون ٢٢/١٥، وأخرجه بنحوه أحمد (٨٨٢٤)، والبخاري (٦٥٠٦)، ومسلم (٢٩٥٤) من طريق الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ. وأخرجه بنحوه أيضاً الداني في السنن الواردة في الفتن (٣٨٣) من طريق نعيم بن عبد الله عن أبي هريرة عن النبي ﷺ. قوله: يَلِيْطُ حوضَه - وفي رواية: يلوط - أي: يطينه ويصلحه. النهاية (لوط).

(٤) أخرجه أحمد (٦٥٥٥)، ومسلم (٢٩٤٠)، وسلف ٨/٤٣٠.

(٥) النكت والعيون ٥/٢٢.

﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ إذا ماتوا. وقيل: إنَّ معنى «ولا إلى أهلهم يَرْجِعُونَ»: لا يَرْجِعُونَ إليهم قولاً. وقال قتادة: «ولا إلى أهلهم يَرْجِعُونَ» أي: إلى منازلهم؛ لأنَّهم قد أُعْجِلُوا عن ذلك<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا نَوِيلَانَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَأَلَيْكُم لَّا تُظَلَّمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ هذه النفخة الثانية للنشأة. وقد بيَّنا في سورة النمل أنَّهما نفختان لا ثلاث<sup>(٢)</sup> وهذه الآية دالة على ذلك. وروى المبارك بن فضالة عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «بين التَّفْخِخِينِ أربعون سنة: الأولى يُمِيتُ اللهُ بها كلَّ حيٍّ، والأخرى يُحْيِي اللهُ بها كلَّ ميِّتٍ»<sup>(٣)</sup>.

وقال قتادة: الصُّورُ جمعُ صُورَةٍ، أي: نُفِخَ فِي الصُّورِ الأرواح<sup>(٤)</sup>. وَصُورَةٌ وَصُورٌ مثلُ سورةِ البناءِ وسُورٍ؛ قال العجاج:  
وَرُبَّ ذِي سُرَادِقٍ مَخْجُورٍ سُرْتُ إِلَيْهِ فِي أَعَالِي السُّورِ<sup>(٥)</sup>  
وقد روي عن ابن هرمز أنه قرأ: «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ»؛ النحاس<sup>(٦)</sup>: والصحيحُ أنَّ

(١) النكت والعيون ٢٢/٥، وأخرجه الطبري ٤٥٤/١٩ دون قوله: أي إلى منازلهم.

(٢) عند تفسير الآية (٨٧) منها.

(٣) النكت والعيون ٢٣/٥، وسلف عند تفسير الآية (٨٧) من سورة النمل.

(٤) في (م): والأرواح.

(٥) ديوان العجاج ص ٢٢٩ - ٢٣٠، والكتاب ٥١/٤، وإعراب القرآن للنحاس ٣/٣٩٩، والكلام منه.

قوله: سُرْتُ، أي: وثبت. شرح الشواهد للشتمري ص ٥٤٩،

(٦) في إعراب القرآن ٣/٣٩٩، وما قبله منه، ووقع في النسخ: أبي هريرة، بدل: ابن هرمز، وهو تصحيف، وينظر المحرر الوجيز ٤/٤٥٧، والبحر ٧/٣٤١. والقراءة في المحتسب ٢/٢١٢ عن قتادة.

«الصُّور» بإسكان الواو: القَرْن، جاء بذلك التوقيفُ عن رسولِ الله ﷺ، وذلك معروفٌ في كلامِ العرب، أشدُّ أهلُ اللغة:

نَحْنُ نَطْحُنَاهُمْ غَدَاةَ الْغُورَيْنِ بِالضَّابِحَاتِ فِي غُبَارِ النَّفْعَيْنِ  
نَطْحًا شَدِيدًا لَا كَنَطِحِ الصُّورَيْنِ

وقد مضى هذا في «الأنعام» مستوفى<sup>(١)</sup>.

﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ أي: القبور. وقرئ بالفاء: «مِنَ الْأَجْدَافِ» ذكره

الزمخشري<sup>(٢)</sup>. يقال: جَدْتُ وَجَدْتُ. واللغةُ الفصيحةُ: جَدْتُ؛ بالشاء، والجمعُ أَجْدُتُ وَأَجْدَاتُ؛ قال المتنخلُ الهذليُّ:

عَرَفْتُ بِأَجْدُتٍ فَنِعَافٍ عِرْقٍ      عَلامَاتٍ كَتَحْبِيرِ النُّمَاطِ<sup>(٣)</sup>  
وَاجْتَدَتَ: أي: اتَّخَذَ جَدْنًا.

﴿إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ أي: يخرجون؛ قاله ابنُ عباسٍ وقتادة<sup>(٤)</sup>. ومنه قولُ امرئ

القيس:

فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسِيلِ<sup>(٥)</sup>

ومنه قيل للولد: نَسَلٌ؛ لأنه يخرج من بطنِ أمه.

(١) ٤٣٠/٨ وما بعدها، وسلف ثَمَّة البيت الأول والثالث، والأول برواية: الجمعين، بدل: الغورين، والآيات الثلاثة في أمالي القالي ٣٦/١. قوله: بالضابحات، من ضبحت الخيل: إذا عدت. اللسان (ضبح).

(٢) في الكشف ٣/٣٢٥.

(٣) ديوان الهذليين ١٨/٢، والصحاح (جدت)، والكلام منه. قال شارح الديوان: أجدت ونعاف عرق: هي مواضع، كتعبير: كتنتقيش. والنمط جمع نمط. اهـ وفي القاموس (نمط): النمط: ضربٌ من البُسْط.

(٤) أخرج قولهما الطبري ٤٥٥/١٩ - ٤٥٦.

(٥) ديوان امرئ القيس ص ١٣، وسلف ٢٨٧/١٤. وصدرة: وإن كنت قد ساءت منك مني خليفة.

وقيل: يُسرعون. والنَّسْلان والعَسْلان: الإسراعُ في السَّير، ومنه مِثْيَةُ الذئب؛

قال:

عَسْلانُ الذئبِ أَمْسى قَارباً بَرَدَ اللَّيْلُ عَلَيْهِ فَنَسَلَ<sup>(١)</sup>

يقال: عَسَلَ الذئبُ ونَسَلَ، يَعْسلُ وَيَنسِلُ، من بابِ ضَرَبَ يَضْرِبُ. ويقال: يَنْسَلُ

بالضم أيضاً. وهو الإسراعُ في المشي، فالمعنى: يخرجون مسرعين. وفي التنزيل:

﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَّيْسٍ وَجِدَةً﴾ [القمان: ٢٨]، وقال: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ

كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]، وفي «سأل سائل»: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى

نُصْبٍ يُوفُؤُونَ﴾ [الآية: ٤٣] أي: يُسرعون. وفي الخبر: شَكَّونا إلى النبي ﷺ الضعف

فقال: «عليكم بالنَّسَل»<sup>(٢)</sup> أي: بالإسراع في المشي، فإنه ينشط.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا﴾ قال ابن الأنباري<sup>(٣)</sup>: «يا ويلنا» وقفٌ حسنٌ، ثم

تبتدئ: ﴿مَنْ بَعَثَنَا﴾. وروي عن بعض القراء: «يا ويلنا مِنْ بَعْثِنَا» بكسر ميمٍ والفاء من

البعث، روي ذلك عن عليٍّ ؑ، فعلى هذا المذهب لا يَحْسُنُ الوقْفُ على قوله: «يا

ويلنا»، حتى يقول: ﴿مِنْ مَرَقَدِنَا﴾، وفي قراءة أبي بن كعب: «مَنْ أَهَبْنَا»<sup>(٤)</sup>

بالوصل<sup>(٥)</sup> «مِنْ مَرَقَدِنَا»، فهذا دليلٌ على صحة مذهب العامة.

(١) البيت للبيد أو للنابغة الجعدي، وقد سلف ٢٨٧/١٤. قوله: قارباً؛ القارب هو طالب الماء ليلاً. اللسان (قرب).

(٢) غريب الحديث لابن الجوزي ٤٠٥/٢، والنهاية ٥٠/٥، وأخرجه بنحوه ابن قتيبة في غريب الحديث ٢٢١/١ من طريق ابن عيينة عن رجل: أن النبي ﷺ مر بأصحابه وهم يمشون، فشكروا إليه الإعياء، فأمرهم أن ينسلوا، وإسناده ضعيف.

(٣) في إيضاح الوقف والابتداء ٨٥٤/٢.

(٤) في (ظ): أبعثنا، وفي (م): هبنا، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في إيضاح الوقف والابتداء، إلا أن ابن الأنباري نسبها لابن مسعود ؑ. وذكر ابن جني في المحتسب ٢١٤/٢ عن أبي أنه قرأ: «هبنا»، وعن ابن مسعود أنه قرأ: «أهبتنا».

(٥) قوله: بالوصل، ليس في (خ) و(ز) ولا في إيضاح الوقف والابتداء (والكلام منه). وسيذكر المصنف عن ابن الأنباري لاحقاً أنها بالوصل.

قال المهدوي: قرأ ابن أبي ليلى: «قالوا يا وَيْلَتَنَا» بزيادة تاء<sup>(١)</sup>، وهو تأنيث الويل، ومثله: ﴿يَنْوَلْتَى أَفْئِدَةً مِّنْ عُجُوٍّ﴾ [هود: ٧٢].

وقرأ عليٌّ ؑ: «يا وَيْلَنَا مِنْ بَعْنِنَا» ف «مِنْ» متعلقة بالويل، أو حالٌ من «ويلنا» فتعلقت بمحذوف، كأنه قال: يا ويلنا كائناً مِنْ بَعْنِنَا، وكما يجوز أن يكون خبراً عنه كذلك يجوز أن يكون حالاً منه. و«مِنْ» من قوله: «مِنْ مَرْقِدِنَا» متعلقة بنفس البعث<sup>(٢)</sup>.

ثم قيل: كيف قالوا هذا وهم من المعذبين في قبورهم؟ فالجواب: أن أبي بن كعب قال: ينامون نومة<sup>(٣)</sup>. وفي رواية فيقولون: يا ويلنا من هَبْنَا<sup>(٤)</sup> من مرقدنا.

قال أبو بكر الأنباري: لا يُحْمَلُ هذا الحديث على أن «هَبْنَا» من لَفْظِ القرآن كما قاله مَنْ طَعَنَ في القرآن، ولكنه تفسيرٌ «بَعْنَا» أو مُعَبَّرٌ عن بعضِ مَعَانِيهِ.

قال أبو بكر: وكذا حَفِظْتُهُ: «مَنْ هَبَّنَا» بغير ألفٍ في «هَبْنَا» مع تَسْكِينِ نونِ «مَنْ»، والصوابُ فيه على طريق اللغة: «مَنْ اهَبَّنَا» بفتح النون على أن فتحة همزة أهَبَّ أَلْقَيْتُ على نونِ «مَنْ» وأسقطت الهمزة، كما قالت العرب: مَنْ أَخْبَرَكَ، مَنْ أَعْلَمَكَ؟ وهم يريدون: مَنْ أَخْبَرَكَ. ويقال: أَهْبَيْتُ النَّائِمَ فَهَبَّ النَّائِمُ. أنشدنا أحمد بن يحيى النحوي:

وَعَاذِلَةَ هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلُوْمُنِي      ولم يَغْتَمِرْنِي قَبْلَ ذَاكَ عَدُوْلُ<sup>(٥)</sup>

(١) القراءات الشاذة ص ١٢٥. وذكر ابن جني عن ابن أبي ليلى: «يا ويلتا» بالتاء بعدها ألف. وذكر أبو حيان في البحر ٣٤١/٧ القراءتين عن ابن أبي ليلى، وقال في الثانية: ومعنى هذه القراءة أن كل واحد منهم يقول: يا ويلتا.

(٢) المحاسب ٢١٣/٢. وقراءة علي ؑ ذكرها أيضاً ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٢٥ وقد سلفت قريباً.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/٤٠٠. وأخرج قول أبي ؑ الطبري ١٩/٤٥٦. قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/٤٥٨: وهذا غير صحيح الإسناد.

(٤) في (د) و(م): أهبنا.

(٥) الأمالي للقالبي ١/٣٨، وزهر الآداب للحصري القيرواني ١/٣٥٦. وأحمد بن يحيى هو ثعلب. قال =

وقال أبو صالح: إذا نُفِخَ النّفخةُ الأولى رُفِعَ العذابُ عن أهل القبور وهجّعوا هجّعةً إلى النّفخةِ الثانية، وبينهما أربعون سنةً؛ فذلك قولهم: ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقِدِنَا﴾<sup>(١)</sup>. وقاله ابنُ عباسٍ وقتادة<sup>(٢)</sup>.

وقال أهلُ المعاني: إنّ الكفار إذا عاينوا جهنّمَ وما فيها من أنواع العذابِ صار ما عُدّبوا به في قبورهم إلى جنبِ عذابها كالنوم<sup>(٣)</sup>.

قال مجاهد: فقال لهم المؤمنون: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾. وقال قتادة: فقال لهم مَنْ هَدَى اللهُ: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ وقال الفراء: فقال لهم الملائكة: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾. النّحاس<sup>(٤)</sup>: وهذه الأقوالُ متّفقةٌ؛ لأنّ الملائكةَ من المؤمنين وممّن هَدَى اللهُ عزَّ وجلَّ. وعلى هذا يُتأوّلُ قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧] وكذا الحديث: «المؤمنُ عندَ اللهِ خيرٌ من كلِّ ما خلق»<sup>(٥)</sup>. ويجوزُ أن يكون الملائكةُ صلى اللهُ عليهم وغيرهم من المؤمنين قالوا لهم: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾.

وقيل: إنّ الكفّارَ لمّا قال بعضهم لبعضٍ: «مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقِدِنَا» صدّقوا الرسلَ لمّا عاينوا ما أخبروهم به، ثم قالوا: «هذا ما وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلُونَ» فكذبنا به. أفروا حين لم ينفعهم الإقرار.

= البكري في سمط اللآلي شرح أمالي القالي: هذا الشعر لبعض بني فزارة، والاعتماد: الاستضعاف.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤٠٠/٣.

(٢) تفسير البغوي ١٥/٤، وأخرجه عن قتادة الطبري ٤٥٦/١٩.

(٣) تفسير البغوي ١٥/٤.

(٤) في إعراب القرآن ٤٠٠/٣، وما قبله منه، وقول الفراء في معاني القرآن ٣٨٠/٢.

(٥) لم نَفِ عليه بهذا اللفظ عند غير النحاس، وأخرج ابن ماجه (٣٩٤٧) من حديث أبي هريرة ؓ، عن النبي ﷺ قال: «المؤمن أكرم على الله عز وجل من بعض ملائكته». قال البوصيري في مصباح الزجاجاة ٢٨٨/٢: هذا إسناد ضعيف لضعف يزيد بن سفيان.

وكان حفص يقف على «مِنْ مَرَقِدِنَا» ثم يبتدئ فيقول: «هذا»<sup>(١)</sup>. قال أبو بكر بن الأنباري<sup>(٢)</sup>: «مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرَقِدِنَا وَقَفْت حَسَنٌ، ثُمَّ تَبْتَدِئُ: «هذا ما وَعَدَ الرَّحْمَنُ». ويجوز أن تقف على: «مرقدنا هذا» فتخفص «هذا» على الإبتاع للمرقد، وتبتدئ: «ما وَعَدَ الرَّحْمَنُ» على معنى: بَعَثْكُمْ ما وعد الرحمن، أي: بَعَثْكُمْ وَعَدَ الرَّحْمَنُ.

النحاس<sup>(٣)</sup>: التمام على «مِنْ مَرَقِدِنَا»، و«هذا» في موضع رفع بالابتداء وخبره «ما وَعَدَ الرَّحْمَنُ». ويجوز أن يكون في موضع خفض على النعت لـ «مَرَقِدِنَا»، فيكون التمام «مِنْ مَرَقِدِنَا هذا» [ويكون] «مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ» في موضع رفع من ثلاث جهات، ذكر أبو إسحاق منها اثنتين قال: يكون بإضمار هذا. والجهة الثانية أن يكون بمعنى: حق ما وَعَدَ الرَّحْمَنُ<sup>(٤)</sup>. والجهة الثالثة أن يكون بمعنى: بَعَثْكُمْ ما وعد الرحمن.

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَجِدَةً﴾ يعني: إن بعثهم وإحياءهم كان بصيحة واحدة، وهي قول إسرافيل: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، والعظام المتفرقة، والشعور المتمزقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفضل القضاء<sup>(٥)</sup>. وهذا معنى قوله الحق: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ [ق: ٤٢]، وقال: ﴿مُهَيَّبِينَ إِلَى الدَّارِ﴾ [القمر: ٨] على ما يأتي. وفي قراءة ابن مسعود - إن صح عنه -: «إِنْ كَانَتْ إِلَّا زُقِيَّةً وَاحِدَةً»، والزقية: الصيحة، وقد تقدم هذا<sup>(٦)</sup>.

﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ «فإذا هم جميع» مبتدأ وخبره، «جميع» نكرة،

(١) ذكر الداني في التيسير ص ١٤٢ عن حفص أنه كان يسكت مع مراد الوصل على الألف في قوله تعالى: «من مرقدنا»، ثم يقول: «هذا».

(٢) في إيضاح الوقف والابتداء ٨٥٤/٢.

(٣) في إعراب القرآن ٤٠٠/٣، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٤) بعدها في النسخ: بعثكم، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس، ومعاني القرآن للزجاج ٢٩١/٤.

(٥) أخرجه بنحوه الطبري ٤٧٥/٢١ عن كعب الأحبار.

(٦) ص ٢١ من هذا الجزء.

و«مُحْضَرُونَ» من صفته<sup>(١)</sup>. ومعنى «مُحْضَرُونَ»: مَجْمُوعُونَ أَحْضَرُوا مَوْقِفَ الحساب، وهو كقوله: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾ [النحل: ٧٧].

قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تَنْظِلُمْ نَفْسٌ سَعِيًّا﴾ أي: لا تُنْقِصُ من ثوابِ عَمَلٍ. ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ «مَا» في محلِّ نَصْبٍ من وجهين: الأولُ انه مفعولٌ ثانٍ لِمَا لم يُسَمِّ فاعله. والثاني بِنَزْعِ حرفِ الصفة، تقديره: إِلَّا بما كنتم تعملون، أي: تعملونه، فحذف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَهُونٍ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِفُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَنَكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَهُونٍ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس وقتادة ومجاهد: شَغَلَهُمْ افْتِضَاضُ الْعَذَارَى<sup>(٢)</sup>. وذكر الترمذي الحكيم في كتاب «مشكل القرآن» له: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَمِيدِ الرَّازِيِّ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ الْقُمِّيُّ، عَنْ حَفْصِ ابْنِ حَمِيدٍ، عَنْ شَمْرِ بْنِ عَطِيَّةٍ، عَنْ شَقِيقِ بْنِ سَلْمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَهُونٍ﴾ قال: شَغَلَهُمْ افْتِضَاضُ الْعَذَارَى<sup>(٣)</sup>. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَمِيدٍ، حَدَّثَنَا هَارُونَ بْنُ الْمَغِيرَةِ، عَنْ نَهْشَلٍ، عَنْ الضَّحَّاكِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بِمِثْلِهِ<sup>(٤)</sup>.

وقال أبو قلابة: بينما الرجلُ من أهل الجنة مع أهله إذ قيل له: تَحَوَّلْ إِلَى أَهْلِكَ، فيقول: أنا مع أهلي مشغول! فيقال: تَحَوَّلْ أَيْضاً إِلَى أَهْلِكَ. وقيل: أصحاب الجنة

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤٠١/٣.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤٠١/٣، والنكت والعيون ٢٤/٥، وزاد المسير ٢٧/٧.

(٣) أخرجه بهذا الإسناد الطبري ٤٦٠/١٩.

(٤) أخرجه الطبري ٤٦٠/١٩ من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

في شغلٍ بما هم فيه من اللذاتِ والنعيم عن الاهتمام بأهل المعاصي ومصيرهم إلى النار، وما هم فيه من أليم العذاب، وإن كان فيهم أقرباؤهم وأهلهم<sup>(١)</sup>؛ قاله سعيد ابن المسيب وغيره.

وقال وكيع: يعني في السماع. وقال ابن كيسان: «في شغلٍ» أي: في زيارة بعضهم بعضاً. وقيل: في ضيافة الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

وروي: أنه إذا كان يومُ القيامة نادى مُنادٍ: أين عبادي الذين أطاعوني وحفظوا عهدي بالغيب؟ فيقومون كأنما وجوههم البدرُ والكوكبُ الدرِّيُّ، ركبانا على نُجُبٍ من نورٍ أزمئتها من الياقوت، تطيرُ بهم على رؤوس الخلائق، حتى يقوموا بين يدي العرش، فيقولُ الله جلَّ وعزَّ لهم: السلامُ على عبادي الذين أطاعوني وحفظوا عهدي بالغيب، أنا اضظفيتكم، وأنا اجتبيتكم، وأنا اخترتكم، اذهبوا فادخلوا الجنةَ بغير حسابٍ، ﴿لَا حَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾. فيمرُّون على الصراط كالبرق الخاطف، فتفتح لهم أبوابها. ثم إنَّ الخلقَ في المحشر موقوفون، فيقولُ بعضهم لبعضٍ: يا قوم، أين فلانٌ وفلان؟ وذلك حين يسألُ بعضهم بعضاً، فينادي مُنادٍ: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَّهُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

و«شُغْلٍ» و«شُغْلٍ» لغتان قرئ بهما<sup>(٤)</sup>، مثل: الرُّغْبِ والرُّغْبِ؛ والشُّحْتِ والشُّحْتِ، وقد تقدَّم<sup>(٥)</sup>.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤٠١/٣.

(٢) ذكر هذه الأقوال البغوي ١٦/٤. قال الألوسي في روح المعاني ٣٤/٢٣: ليس مراد أهل هذه الأقوال بذلك حصر شغلهم فيما ذكروه فقط، بل بيان أنه من جملة أشغالهم.

(٣) لم تقف عليه.

(٤) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: «شُغْلٍ» بإسكان الغين، والباقون بضمها. السبعة ص ٥٤١ - ٥٤٢، والتيسير ص ١٨٤.

(٥) ٤٨٧/٧ - ٤٨٨.

﴿فَكَيْهُونَ﴾ قال الحسن: مَسْرُورُونَ. وقال ابن عباس: فَرِحُونَ. مجاهدٌ والضحاك: مُعْجَبُونَ. السُّدِّيُّ: نَاعِمُونَ<sup>(١)</sup>. والمعنى متقاربٌ. والفكاهة: المزاح والكلامُ الطيبُ.

وقرأ أبو جعفر وشيبةُ والأعرجُ: «فَكَيْهُونَ» بغير ألفٍ<sup>(٢)</sup>، وهما لغتان كالفارهِ والفَرِه، والحاذِرِ والحَذِر؛ قاله الفراء<sup>(٣)</sup>. وقال الكسائيُّ وأبو عبيدة: الفَايْهَةُ: ذو الفَايْهَةِ، مثل: شَاحِمٍ ولاجِمٍ وتَايِرٍ ولايِنٍ، والفَيْهَةُ: المتفكهُه والمتنعم<sup>(٤)</sup>. و«فَكَيْهُونَ» بغير ألفٍ في قول قتادة: مُعْجَبُونَ<sup>(٥)</sup>. وقال أبو زيد: يقال: رجلٌ فَيْكَةٌ: إذا كان طيبَ النفسِ ضحوكاً<sup>(٦)</sup>.

وقرأ طلحةُ بن مُصرّفٍ: «فَاكَيْهِينَ» نَصَبَهُ على الحال<sup>(٧)</sup>.

﴿هُمُ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكُونُونَ﴾ مبتدأٌ وخبرُهُ. ويجوزُ أن يكون «هم» توكيداً، «وأزواجهم» عطفتُ على المُضْمَر، و«مُتَكُونُونَ» نعتٌ لقوله: «فَاكَيْهُونَ»<sup>(٨)</sup>.

وقراءةُ العامَّةِ: «في ظِلَالٍ» بكسْرِ الظَّاءِ والألف. وقرأ ابنُ مسعودٍ وعبيد بنُ عمير والأعمشُ ويحيى وحمزةُ والكسائيُّ وخلفٌ: «في ظُلَلٍ» بضمِّ الظَّاءِ من غير ألفٍ<sup>(٩)</sup>.

(١) تنظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ٤٦٣/١٩، والنكت والعيون ٢٤/٥، وتفسير البغوي ١٦/٤، وزاد المسير ٢٨/٧.

(٢) النشر ٣٥٤/٢ عن أبي جعفر، وهو من العشرة.

(٣) في معاني القرآن ٣٨٠/٢.

(٤) بنحوه في مجاز القرآن ١٦٣/٢ - ١٦٤.

(٥) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة ٢٧/٦، وأبو الليث ١٠٣/٣، وابن عزيز في تفسير الغريب ص ٣٥٥ دون نسبة. قالوا: وفاكهون ناعمون.

(٦) تهذيب اللغة ٢٦/٦.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٤٠١/٣.

(٨) المصدر السابق.

(٩) السبعة ص ٥٤٢، والتيسير ص ١٨٤، والنشر ٣٥٥/٢ عن حمزة والكسائي وخلف.

فَالظَّلَالُ جَمْعُ ظَلٍّ، وَظَلَّلَ جَمَعَ ظَلَّةً. ﴿عَلَى الْأَرْيَاقِ﴾ يَعْنِي السُّرُرَ فِي الْجِجَالِ<sup>(١)</sup>،  
وَاحِدُهَا أَرِيكَةٌ، مِثْلُ سَفِينَةٍ وَسَفَانٍ؛ قَالَ الشَّاعِرُ:

كَأَنَّ أَحْمَرَ الرَّوْدِ فَوْقَ غُصُونِهِ      بَوَقَتِ الضُّحَى فِي رَوْضِهِ الْمُتَضَاحِكِ  
تَحْدُودُ عَذَارَى قَدْ حَجَلْنَ مِنَ الْحَيَا      تَهَادَيْنَ بِالرَّيْحَانِ فَوْقَ الْأَرَائِكِ

وَفِي الْخَبَرِ عَنِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ كُلَّمَا جَامَعُوا  
نِسَاءَهُمْ عُذْنُ أَبْكَارًا»<sup>(٢)</sup>. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَيُعَانِقُ الْحَوْرَاءَ  
سَبْعِينَ سَنَةً، لَا يَمَلُّهَا وَلَا تَمَلُّهُ، كُلَّمَا أَتَاهَا وَجَدَهَا بِكَرًّا، وَكُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهَا عَادَتْ إِلَيْهِ  
شَهْوَتُهُ؛ فَيَجَامِعُهَا بِقُوَّةِ سَبْعِينَ رَجُلًا، لَا يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَنِيٌّ؛ يَأْتِي مِنْ غَيْرِ مَنِيٍّ مِنْهُ وَلَا  
مِنْهَا<sup>(٣)</sup>.

﴿لَمْتُمْ فِيهَا فَتَكْفَهُ﴾ ابْتِدَاءٌ وَخَبِيرٌ ﴿وَلَمْ تَمَّا يَدْعُونَ﴾ الدَّالُّ الثَّانِيَةُ مُبْدَلَةٌ مِنْ تَاءٍ؛ لِأَنَّهُ  
يَفْتَعَلُونَ مِنْ دَعَا<sup>(٤)</sup>، أَي: مَنْ دَعَا بِشَيْءٍ أُعْطِيَهُ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ<sup>(٥)</sup>، فَمَعْنَى «يَدْعُونَ»:  
يَتَمَنُّونَ، مِنَ الدَّعَاءِ.

وَقِيلَ: الْمَعْنَى: أَنَّ مَنْ ادَّعَى مِنْهُمْ شَيْئًا فَهُوَ لَهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ طَبَعَهُمْ عَلَى  
أَلَّا يَدْعِيَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا مَا يَجْمَلُ وَيَحْسُنُ أَنْ يَدْعِيَهُ.

(١) جَمْعُ حَجَلَةٍ، وَهُوَ مَوْضِعٌ مِثْلُ الْقَبَةِ يَتَخَذُ لِلْعُرُوسِ، يَزِينُ بِالشَّيَابِ وَالسُّتُورِ وَالْأَمِيرَةِ. مَعْجَمُ مِثْنِ اللُّغَةِ  
(حَجَل).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبِزَارُ (٣٥٢٧ - كَشْفُ)، وَ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمَعْجَمِ الصَّغِيرِ (٢٤٩)، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي الْعِلَلِ  
٩٣٠/٢. قَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ ٤١٧/١٠: فِيهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مَعْلَى الْوَاسِطِيِّ، وَهُوَ كَذَّابٌ.  
أَهْ وَفِي الْبَابِ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ عِنْدَ ابْنِ حِبَّانَ (٧٤٠٢).

(٣) لَمْ نَقْفِ عَلَيْهِ بِهَذَا السِّيَاقِ، وَأَجْزَائِهِ شَوَاهِدٌ وَرَدَتْ مَرْفُوعَةً، يَنْظُرُ حَدِيثَ أَنَسٍ ؓ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ  
(٢٥٣٦) وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ (٧٤٠٠)، وَحَدِيثَ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ عِنْدَ أَحْمَدَ (١٩٢٦٩)، وَحَدِيثَ أَبِي أَمَامَةَ  
عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ فِي الْكَبِيرِ (٧٤٧٩)، وَحَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ، الْأَحَادِيثُ الطَّوَالُ ٢٥/٣٧).

(٤) إِعْرَابُ الْقُرْآنِ لِلنَّحَّاسِ ٤٠١/٣.

(٥) بِنَحْوِهِ فِي مَجَازِ الْقُرْآنِ ١٦٤/٢.

وقال يحيى بن سلام: «يَدْعُونَ»: يَشْتَهُونَ. ابن عباس: يَسْأَلُونَ<sup>(١)</sup>. والمعنى متقارب.

قال ابن الأنباري<sup>(٢)</sup>: «ولهم ما يدعون» وقف حسن، ثم تبتدئ: «سَلَامٌ»، على معنى: ذلك لهم سلام. ويجوز أن يُرْفَع السلامُ على معنى: ولهم ما يدعون مُسَلِّمٌ خَالِصٌ. فعلى هذا المذهب لا يحسنُ الوقفُ على «ما يدعون».

وقال الزجاج<sup>(٣)</sup>: «سَلَامٌ» مرفوعٌ على البدل من «ما»، أي: ولهم أن يسلم الله عليهم، وهذا مُنى أهل الجنة. وروي من حديث جابر بن عبد الله<sup>(٤)</sup>: أن رسول الله ﷺ قال: «بينا أهل الجنة في نعيمهم؛ إذ سَطَعَ لهم نورٌ، فرفعوا رؤوسهم فإذا الربُّ تعالى قد اطلع عليهم من فوقهم، فقال: السلامُ عليكم يا أهل الجنة، فذلك قوله: ﴿سَلِّمٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ﴾. فينظر إليهم وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم، فيبقى نوره وبركاته عليهم في ديارهم» ذكره الثعلبي والقشيري<sup>(٥)</sup>. ومعناه ثابتٌ في «صحيح» مسلم، وقد بيَّناه في «يونس» عند قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُنْتَقَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [الآية: ٢٦]<sup>(٦)</sup>.

ويجوز أن تكون «ما» نكرة، و«سَلَامٌ» نعتاً لها، أي: ولهم ما يدعون مُسَلِّمٌ. ويجوز أن يكون «ما» رفع بالابتداء، و«سَلَامٌ» خبر عنها. وعلى هذه الوجوه لا يوقف على «ولهم ما يدعون». وفي قراءة ابن مسعود: «سلاماً» يكونُ مصدرًا، وإن شئت في

(١) النكت والعيون ٢٦/٥، وفيه: ابن زياد، بدل: ابن عباس.

(٢) في إيضاح الوقف والابتداء ٨٥٤/٢ - ٨٥٥.

(٣) في معاني القرآن ٢٩٢/٤.

(٤) في النسخ: جرير بن عبد الله البجلي، وهو خطأ وينظر التعليق بعده.

(٥) أخرجه ابن ماجه (١٨٤)، وابن عدي ٢٠٣٩/٦، والعقيلي في الضعفاء ٢٧٤/٢، وأخرجه من طريق الثعلبي الواحد في الوسيط ٥١٧/٣، والبغوي ١٦/٤ جميعهم من حديث جابر ﷺ. قال البوصيري في مصباح الزجاجاة ٦٨/١: هذا إسناد ضعيف لضعف الفضل بن عيسى الرقاشي.

(٦) ٤٨٣/١٠، والحديث عند مسلم (١٨١) عن صهيب ﷺ.

موضع الحال، أي: ولهم ما يدعون ذا سلامٍ أو سلامية، أو: مسلماً<sup>(١)</sup>؛ فعلى هذا المذهب لا يحسنُ الوقفُ على «يدعون»<sup>(٢)</sup>.

وقرأ محمد بن كعب القرظي: «سِلِّمْ» على الاستئناف، كأنه قال: ذلك سِلِّمْ لهم لا يتنازعون فيه، ويكون «ولهم ما يدعون» تاماً. ويجوزُ أن يكون «سِلِّمْ»<sup>(٣)</sup> بدلاً من قوله: «ولهم ما يدعون»، وخبر «ما يدعون»: لهم. ويجوزُ أن يكون «سِلِّمْ» خبراً آخر، ويكون معنى الكلام: أنه لهم خالصٌ من غير منازع فيه.

﴿قَوْلًا﴾ مصدرٌ على معنى: قال الله ذلك قولاً. أو يقوله قولاً، ودلَّ على الفعل المحذوف لفظُ مَصْدَرِهِ<sup>(٤)</sup>. ويجوزُ أن يكون المعنى: ولهم ما يدعون قولاً، أي: عِدَّةٌ من الله. فعلى هذا المذهب الثاني لا يحسنُ الوقفُ على «يدعون». وقال السجستاني: الوقفُ على قوله: «سلامٌ» تامٌّ. وهذا خطأ؛ لأنَّ القولَ خارجٌ ممَّا قبله<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ ويقال: تَمَيَّرُوا وَاْمَأَزُوا وَاْمَتَزُوا بمعنى، ومِزَّتُهُ فَاْمَتَزَ وَاْمَتَزَ، ومِيزَّتُهُ<sup>(٦)</sup> فتمَيَّرَ. أي: يقال لهم هذا عند الوقوف للسؤال حين يؤمر بأهل الجنة إلى الجنة، أي: اخرجوا من جملتهم. قال قتادة: عَزَلُوا عن كُلِّ خَيْرٍ<sup>(٧)</sup>.

وقال الضحَّاك: يمتازُ المجرمون بعضهم من بعض؛ فيمتازُ اليهودُ فرقةً،

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤٠٢/٣. وقراءة: «سلاماً» في المحتسب ٢/٢١٥ عن عيسى الثقفى.

(٢) إيضاح الوقف والابتداء ٢/٨٥٦.

(٣) في (خ) و(ظ) و(م): سلام، وكذا في الموضع الذي بعده، والمثبت من (د) و(ز)، وهو موافق لما في المحتسب ٢/٢١٥.

(٤) المحتسب ٢/٢١٥.

(٥) إيضاح الوقف والابتداء ٢/٨٥٥.

(٦) في (د) و(ز) و(ظ): ومزته، وهما بمعنى ينظر العين ٣٩٤ والصحاح (ميز)، واللسان (ميز).

(٧) أخرجه الطبري ١٩/٤٦٩.

والنصارى فرقةً والمجوس فرقةً، والصابئون فرقةً، وعبدة الأوثان فرقة<sup>(١)</sup>. وعنه أيضاً: إنَّ لكل فرقةٍ في النار بيتاً تدخل فيه ويردُّ بابه، فتكون فيه أبداً لا تَرَى ولا تُرَى<sup>(٢)</sup>.  
وقال داود بن الجراح: فيمتاز المسلمون من المجرمين، إلا أصحاب الأهواء، فيكونون مع المجرمين<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىٰءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٥﴾ وَإِنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٦﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٨﴾ أَصَلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٩﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىٰءَ آدَمَ﴾ العهد هنا بمعنى الوصية، أي: ألم أوصيكم وأبلغكم على السنة الرسل ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ أي: لا تطيعوه في معصيتي. قال الكسائي: لا للتهيء ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي﴾ بكسر النون على الأصل، ومن ضمَّ كره كسرة بعدها ضمة<sup>(٤)</sup>. ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي: عبادتي دينٌ قويم.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا﴾ أي: أغوى ﴿جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ أي: خلقاً كثيراً؛ قاله مجاهد. قتادة: جموعاً كثيرة. الكلبي: أمماً كثيرة<sup>(٥)</sup>، والمعنى واحد.

وقرأ أهل المدينة وعاصم: ﴿جِبِلًّا﴾ بكسر الجيم والباء. وأبو عمرو وابن عامر: ﴿جُبِلًّا﴾ بضم الجيم وإسكان الباء. الباقون: ﴿جُبِلًّا﴾ بضم الجيم والباء وتخفيف اللام<sup>(٦)</sup>. وشدها الحسن وابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر وعبد الله بن عبيد والنضر

(١) النكت والعيون ٢٦/٥.

(٢) تفسير البغوي ١٦/٤.

(٣) النكت والعيون ٢٧/٥.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤٠٢/٣.

(٥) النكت والعيون ٢٧/٥، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٤٧١/١٩.

(٦) وقرأ بها أيضاً من السبعة ابن كثير وحمزة والكسائي. السبعة ص ٥٤٢، والتيسير ص ١٨٤.

ابن أنس<sup>(١)</sup>. وقرأ أبو يحيى والأشهب العقيلي: «جِبْلًا» بكسر الجيم وإسكان الباء وتخفيف اللّام<sup>(٢)</sup>. فهذه خمسُ قراءات. قال المهديُّ والثعلبيُّ: وكلُّها لغاتٌ بمعنى الخلق.

النحّاس<sup>(٣)</sup>: أبينها القراءة الأولى؛ والدليلُ على ذلك أنهم قد أجمعوا على أن قرؤوا: ﴿وَالْجِبْلَةَ الْأُولَى﴾ [الشعراء: ١٨٤] فيكون «جِبْلًا» جمعُ جِبْلَةٍ، والاشتقاقُ فيه كلُّه واحدٌ. وإنما هو من: جَبَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ الخلقَ، أي: خَلَقَهُمْ. وقد ذُكرتُ قراءةٌ سادسةٌ وهي: «ولقد أَضَلَّ منكم جِبْلًا كثيرًا» بالياء.

وحكي عن الضحّاك أنَّ الجِبِلَّ<sup>(٤)</sup> الواحدُ عشرةُ آلافٍ، والكثير ما لا يُحصيه إلاَّ اللهُ عزَّ وجلَّ؛ ذكَّره الماورديُّ<sup>(٥)</sup>.

﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ عداوته، وتعلّموا أنَّ الواجبَ طاعةُ اللهِ. ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ﴾ أي: تقولُ لهم خزنةُ جهنّم: هذه جهنّمُ التي وُعدتُم فكذبتم بها. وروى عن أبي هريرة أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «إذا كان يومُ القيامةِ جَمَعَ اللهُ الإنسَ والجنَّ والأولينَ والآخِرِينَ في صعيدٍ واحدٍ، ثمَّ أشرفَ عنقٌ من النارِ على الخلائق فأحاطَ بهم، ثمَّ ينادي منادٍ: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾. أَصْلَوْهَا أَيَّزَمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ فحينئذٍ تجثو الأممُ على رُكَبِها، وتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَها، وتَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ، وترى الناسَ سُكَارَى وما هم بسُكَارَى ولكنَّ عذابَ اللهِ شديدٌ»<sup>(٦)</sup>.

(١) إعراب القرآن للنحّاس ٤٠٢/٣، والمحتسب ٢١٦/٢ وشدّدها أيضاً يعقوب - وهو من العشرة - في رواية زُوح. اهـ. وعبد الله بن عبيد هو أبو هاشم الليثي المكي، تابعي جليل، توفي سنة (١١٣هـ). طبقات القراء لابن الجزري ٤٣٠/١.

(٢) إعراب القرآن للنحّاس ٤٠٣/٣، والمحتسب ٢١٦/٢، وهي قراءة شاذة.

(٣) في إعراب القرآن ٤٠٣/٣.

(٤) في (م): الجيل.

(٥) في النكت والعيون ٢٧/٥.

(٦) أخرجه بنحوه الطبري ٤٧٠/١٩، من طريق إسماعيل بن رافع، عن حدثه، عن محمد بن كعب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ. وإسناده ضعيف لضعف إسماعيل بن رافع، وإلهاهم شيخه.

قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتُمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَنُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُصِيرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَاتِبِهِمْ فَمَا اسْتَفْلَحُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ نَعْمِرَهُ نَكْنِسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتُمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَنُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ في «صحيح» مسلم<sup>(١)</sup> عن أنس بن مالك قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فضحك فقال: «هل تدرون ممّ أضحك؟» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «من مخاطبة العبد ربّه، يقول: يا ربّ، ألم تُجزني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، فيقول: فإني لا أجز على نفسي إلا شاهداً مني. قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً، فقال: فيختّم على فيه، فيقال لأركانه: انطقي، قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام، فيقول: بعداً لکنّ وسحقاً، فعنكّن كنت أناضل».

خرّجه أيضاً من حديث أبي هريرة. وفيه: «ثم يُقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك. ويتفكّر<sup>(٢)</sup> في نفسه: من ذا الذي يشهد عليّ، فيختّم على فيه، ويقال لفتحده [ولحمه وعظامه]: انطقي، فتتطق فخذُه ولحمُه وعظامُه بعمله، وذلك ليُعذّر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط الله عليه»<sup>(٣)</sup>.

وخرّج الترمذي عن معاوية بن حيدة عن النبي ﷺ في حديث ذكره قال: وأشار بيده إلى الشام فقال «ها هنا»<sup>(٤)</sup> إلى ها هنا تحشرون ركبانا ومشاة، وتجرؤون على وجوهكم يوم القيامة، على أفواهكم الفدّام، تُوفون سبعين أمة أنتم خيرهم وأكرمهم

(١) برقم (٢٩٦٩).

(٢) في النسخ الخطية: فيفكر، والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في صحيح مسلم.

(٣) صحيح مسلم (٢٩٦٨)، وما سلف بين حاضرتين منه.

(٤) في (د) و(م): من ها هنا.

على الله، وإنَّ أولَ ما يُعْرَبُ عن أحديكم فخذُه»<sup>(١)</sup> في روايةٍ أُخرى: «فخذُه وكفُّه»<sup>(٢)</sup>  
 الفِدامُ مِصْفَأَةُ الكوزِ والإبريقِ؛ قاله الليث. قال أبو عبيد: يعني أنهم مُنَعُوا الكلامَ  
 حتى تكلمَّ أفخاذُهم، فشبَّه ذلك بالفِدامِ الذي يُجعل على الإبريقِ<sup>(٣)</sup>.  
 ثم قيل في سبب الختمِ أربعةٌ أوجهٌ:

أحدها: لأنَّهم قالوا ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] فختم الله على أفواههم  
 حتى نطقَتْ جوارحُهم؛ قاله أبو موسى الأشعري<sup>(٤)</sup>.

الثاني: ليَعْرِفَهُم أهلُ الموقفِ فيتميّزون منهم؛ قاله ابن زياد.

الثالث: لأنَّ إقرارَ غيرِ النَّاطِقِ أبلغُ في الحجة من إقرارِ النَّاطِقِ؛ لخروجه مخرج  
 الإعجاز، وإن كان يوماً لا يحتاج إلى إعجاز.

الرابع: ليَعْلَمَ أنَّ أعضائه التي كانت [له] أعواناً في حقِّ نفسه صارت عليه شهوداً  
 في حقِّ ربِّه.

فإن قيل: لم قال: ﴿وَتَكَلَّمْنَا أَيديَهُمْ وَشَهِدُ أَرْجُلُهُمْ﴾ فجعل ما كان من اليد  
 كلاماً، وما كان من الرِّجلِ شهادةً؟

قيل: لأنَّ اليدَ مُباشِرةٌ لعمله، والرجل حاضرةٌ، وقولُ الحاضِرِ على غيره شهادةٌ،  
 وقولُ الفاعلِ على نفسه إقرارٌ بما قال أو فعَل؛ فلذلك عبَّرَ عمَّا صدرَ من الأيدي  
 بالقول، وعمَّا صدرَ من الأرجُلِ بالشهادة. وقد روي عن عُقبة بن عامر قال: سمعتُ  
 رسولَ الله ﷺ يقول: «أولُ عَظْمٍ من الإنسان يتكلمُ يومَ يُختمُ على الأفواهِ فخذُه من

(١) سنن الترمذي (٢٤٢٤) و(٣١٤٣)، وهو في مسند أحمد (٢٠٠٣١) و(٢٠٠٥٠)، والنسائي في الكبرى (١١٣٦٧) ولفظ المصنف أقرب إليه.

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٠٢٦).

(٣) تهذيب اللغة ١٤/١٤٧، وقول أبي عبيد في غريب الحديث ٤٩/١ بنحوه.

(٤) أخرجه مطولاً الطبري ١٩/٤٧٢ - ٤٧٣، والكلام من النكت والعيون ٥/٢٧، وما سيرد بين  
 حاصرتين منه.

الرَّجُلِ الْيَسْرِيَّ» ذَكَرَهُ الْمَاورِدِيُّ<sup>(١)</sup> وَالْمَهْدَوِيُّ. وَقَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ: إِنِّي لِأَحْسِبُ أَنَّ أَوَّلَ مَا يَنْطِقُ مِنْهُ فَخْذُهُ الْيَمْنَى<sup>(٢)</sup>؛ ذَكَرَهُ الْمَهْدَوِيُّ أَيْضًا.

قال الماوردي<sup>(٣)</sup>: فاحتمل أن يكون تقدّم الفخذ بالكلام على سائر الأعضاء؛ لأنّ لذة معاصيه يُدرِكُها بحواسّه التي هي في الشطر [الأعلى من جسده، وأقرب أعضاء الشطر] الأسفل منها الفخذ، فجاز لقربه منها أن يتقدّم في الشهادة عليها. قال: وتقدّمت اليسرى؛ لأنّ الشهوة في ميّمين الأعضاء أقوى منها في ميّاسرها؛ فلذلك تقدّمت اليسرى على اليمنى لقلّة شهوتها.

قلت: أو بالعكس لغلبة الشهوة، أو كلاهما معاً والكف؛ فإنّ بمجموع ذلك يكون تمام الشهوة واللذة. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾  
حكى الكسائي: طَمَسَ يَطْمِسُ وَيَطْمُسُ<sup>(٤)</sup>. والمطموس والطميس عند أهل اللغة: الأعمى الذي ليس في عينه شق. قال ابن عباس: المعنى: لأعميناهم عن الهدى، فلا يهتدون أبداً إلى طريق الحق<sup>(٥)</sup>.

وقال الحسن والسدي: المعنى: لتركناهم عمياً يترددون. فالمعنى: لأعميناهم فلا يُبصرون طريقاً إلى تصرّفهم في منازلهم ولا غيرها. وهذا اختيار الطبري<sup>(٦)</sup>. وقوله: ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾ أي: استبقوا الطريق ليَجُوزوا ﴿فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ أي: فمن أين يُبصرون.

(١) في النكت والعيون ٢٨/٥، وأخرجه أحمد (١٧٣٧٤) وينظر الكلام عليه في حاشية المسند.

(٢) قطعة من خير طويل عن أبي موسى ؓ أخرجه الطبري ١٩/٤٧٢ - ٤٧٣، وقد سلف بعضه.

(٣) في النكت والعيون ٢٨/٥، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣/٤٠٣.

(٥) أخرجه الطبري ١٩/٤٧٤ بنحوه.

(٦) في تفسيره ١٩/٤٧٥، وأخرجه عن الحسن. وذكره عن الحسن والسدي البغوي ٤/١٨.

وقال عطاء ومقاتل وقتادة، وروي عن ابن عباس: ولو نشاء لَفَقَانَا أَعِينَ ضَلَالَتِهِمْ، وأعميناهم عن غيِّهم، وحوَّلْنَا أَبْصَارَهُمْ مِنَ الضَّلَالَةِ إِلَى الْهُدَى؛ فَاهْتَدَوْا وَأَبْصَرُوا رُشْدَهُمْ، وَتَبَادَرُوا إِلَى طَرِيقِ الْآخِرَةِ. ثم قال: ﴿فَأَنزَلْنَا يُبْصِرُونَ﴾ ولم نَفْعَلْ ذَلِكَ بِهِمْ<sup>(١)</sup>، أي: فكيف يهتدون وعينُ الهدى مطموسة، على الضلالِ باقيةً.

وقد روي عن عبد الله بن سلام في تأويل هذه الآية غير ما تقدّم، وتَأَوَّلَهَا على أَنَّهَا فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وقال: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مُدَّ الصُّرَاطُ، نَادَى مَنَادٍ: لِيُقُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ، فيقومون برُّهم وفاجرهم يتبعونه ليجوزوا الصُّرَاطَ، فإذا صاروا عليه طَمَسَ اللَّهُ أَعْيُنَ فَجَّارِهِمْ، فَاسْتَبَقُوا الصُّرَاطَ، فَمِنْ أَيْنَ يَبْصِرُونَهُ حَتَّى يُجَاوِزُوهُ؟ ثم ينادي مَنَادٍ: لِيُقُمْ عِيسَى ﷺ وَأُمَّتُهُ، فيقوم فيتبعونه برُّهم وفاجرهم، فيكون سبيلهم تلك السبيل، وكذا سائر الأنبياء عليهم السلام. ذكره النحاس<sup>(٢)</sup>. وقد كتبه في «التذكرة» بمعناه حَسَبَ ما ذكره ابنُ المبارك في «رقائقه»<sup>(٣)</sup>.

وذكر<sup>(٤)</sup> القشيري: وقال ابن عباس ﷺ: أَخَذَ الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ الْأَسْوَدِ<sup>(٥)</sup> حَجْرًا وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ لِيَطْرَحَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَطَمَسَ اللَّهُ عَلَى بَصَرِهِ، وَأَلْصَقَ الْحَجَرَ بِيَدِهِ، فَمَا أَبْصَرَهُ وَلَا اهْتَدَى، وَنَزَلَتِ الْآيَةُ فِيهِ<sup>(٦)</sup>. والمطموس هو الذي لا يكون بين جفنيه شق، مأخوذ من: طَمَسَ الرِّيحُ الْأَثْرَ؛ قَالَه الْأَخْفَشُ وَالْقَتَيْبِيُّ<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَاتَتِهِمْ فَمَا اسْتَبَقُوا مُضِيًّا وَلَا

(١) تفسير البغوي ١٨/٤ .

(٢) في إعراب القرآن ٤٠٤/٣ .

(٣) برقم (٣٩٨ - زوائد نعيم)، وهو في التذكرة ص ٣٣٨ .

(٤) في (ظ) و(م): وذكره.

(٥) في (م): الأسود بن الأسود. ولعل الصواب: الأسود بن عبد الأسد، وهو أخو أبي سلمة ﷺ، وكان الأسود من المستهزئين بالنبي ﷺ ومات كافراً، كما ذكر الحافظ في الإصابة ٢٠٠/١ .

(٦) لم تقف عليه بهذا السياق، وينظر ما سلف ص ٤١٢-٤١٣ و ٤١٦ من هذا الجزء.

(٧) النكت والعيون ٢٩/٥، وقول ابن قتيبة في تفسير الغريب له ص ٣٦٧ .

يَزْجَعُونَ ﴿ المسخُ: تبديلُ الخَلْقَةِ وَقَلْبُهَا حَجْرًا أو جمادًا أو بهيمةً. قال الحسن: أي: لأقعدناهم فلا يستطيعون أن يَمْضُوا أمامهم ولا يرجعوا وراءهم<sup>(١)</sup>. وكذلك الجماد لا يتقدّم ولا يتأخّر. وقد يكون المسخُ تبديلَ صورةِ الإنسانِ بهيمةً، ثم تلك البهيمَةُ لا تُعْقِلُ موضعاً تقصده، فتتحيّر، فلا تُقْبِلُ ولا تُدْبِرُ.

ابن عباس رضي الله عنه: المعنى: لو نشاء لأهلكناهم في مساكنهم<sup>(٢)</sup>. وقيل: المعنى: لو نشاء لمسخناهم في المكان الذي اجترؤوا فيه على المعصية. ابن سلام: هذا كله يوم القيامة، يظلمسُ الله تعالى أعينهم على الصّراط<sup>(٣)</sup>.

وقرأ الحسن والسلمي وزرّ بن حبيش وعاصم في رواية أبي بكر: «مَكَانَاتِهِمْ» على الجمع، الباقون بالتوحيد<sup>(٤)</sup>. وقرأ أبو حيوّة: «فما استطاعوا مَضِيًّا»<sup>(٥)</sup> بفتح الميم. والمضِيّ بضمّ الميم مصدر مَضَى يَمْضِي مَضِيًّا: إذا ذهب.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ قرأ عاصم وحمزة: «نُنَكِّسْهُ» بضمّ النون الأولى وتشديد الكاف، من التنكيس. الباقون: «نُنَكِّسْهُ» بفتح النون الأولى وضمّ الكاف<sup>(٦)</sup>، مِنْ نَكَسْتُ الشَّيْءَ أَنْكَسْتُهُ نَكْسًا: قلبته على رأسه فانتكس. قال قتادة: المعنى: أَنَّهُ يَصِيرُ إِلَى حَالِ الْهَرَمِ الَّذِي يُشْبِهُ حَالَ الصَّبَا<sup>(٧)</sup>.

وقال سفيان في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾: إذا بلغ ثمانين سنةً تغيّر جسمه وضعفت قوّته<sup>(٨)</sup>، قال الشاعر:

(١) أخرجه الطبري ٤٧٧/١٩ مختصراً بلفظ: لو نشاء لأقعدناهم.

(٢) أخرجه الطبري ٤٧٧/١٩ - ٤٧٨.

(٣) سلف قول عبد الله بن سلام بنحوه مطولاً في تفسير الآية السابقة.

(٤) السبعة ص ٥٤٢ - ٥٤٣، والتيسير ص ١٠٧.

(٥) المحرر الوجيز ٤/٤٦١. وقال الزمخشري في الكشاف ٣/٣٢٩: وقرئ «مَضِيًّا» بالحركات الثلاث.

(٦) السبعة ص ٥٤٣، والتيسير ص ١٨٥.

(٧) أخرجه بنحوه الطبري ٤٧٨/١٩.

(٨) ذكره بنحوه الماوردي في النكت والعيون ٥/٢٩.

مَنْ عَاشَ أَخْلَقَتْ أَيَّامُ جِدَّتِهِ وَخَانَهُ ثِقَاتَاهُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ<sup>(١)</sup>  
 فطولُ العمرِ يصيرُ الشبابَ هَرَمًا، والقوَّةُ ضعفًا، والزيادةُ نقصًا، وهذا هو  
 الغالبُ. وقد تَعَوَّذَ ﷺ من أن يُرَدَّ إلى أرذلِ العمرِ<sup>(٢)</sup>. وقد مضى في «النحل» بيانه<sup>(٣)</sup>.  
 ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أَنْ مَنْ فَعَلَ هَذَا بِكُمْ قَادِرٌ عَلَى بَعْثِكُمْ. وقرأ نافعٌ وابنُ ذكوان:  
 «تَعْقِلُونَ» بالتاء. الباقون بالياء<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٦﴾  
 لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾  
 قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾ فيه أربع مسائل:

الأولى: أخبر تعالى عن حالِ نبيِّه ﷺ، وردَّ قولَ مَنْ قال مِنَ الكفار: إِنَّهُ شاعرٌ،  
 وإنَّ القرآنَ شعرٌ، بقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ وكذلك كان رسولُ الله ﷺ  
 لا يقولُ الشعرَ ولا يزيِّنه، وكان إذا حاولَ إنشادَ بيتٍ قديمٍ متمثلاً كَسَرَ وَزَنَهُ، وإنَّما كان  
 يُحرِّزُ المعانيَ فقط ﷺ. من ذلك أَنَّهُ أَنشَدَ يوماً قولَ طرفة:  
 سَتُبَدِي لَكَ أَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ مَنْ لَمْ تَزُوْدْهُ بِالْأَخْبَارِ<sup>(٥)</sup>

(١) البيت لابن أبي فتن، كما في عيون الأخبار ٢/٣٢٠، والعقد الفريد ٣/٥٧.

(٢) صحيح البخاري (٢٨٢٢).

(٣) ٣٧٥/١٢.

(٤) التيسير ص ١٨٥، وذكرها ابن مجاهد في السبعة ص ١٤٣ عن نافع وحده.

(٥) المحرر الوجيز ٤/٤٦١، والبيت من معلقة طرفة، وهو في ديوانه ص ٤١، وأصله: وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ  
 مَنْ لَمْ تَزُوْدْ. والخبر أخرجه مطولاً عبد الرزاق ٢/١٤٥، وبنحوه الطبري ١٩/٤٨٠ من طريق قتادة عن  
 عائشة رضي الله عنها. وحديث قتادة عن عائشة مرسل كما في المراسيل لابن أبي حاتم ص ١٤٢.  
 وأخرجه أحمد (٢٤٠٢٣) و(٢٥٠٧١)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٩٢)، والترمذي (٢٨٤٨) من  
 طرق عن عائشة رضي الله عنها، وفيه: وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزُوْدْ، على أصل رواية البيت. قال  
 الترمذي: حسن صحيح. اهـ. وكذا أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٩٣) عن ابن عباس رضي الله  
 عنهما.

وأنشد يوماً وقد قيل له: مَنْ أشعرُ الناس؟ فقال: الذي يقول:

أَلَمْ تَرَ يَانِي كَلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا      وَجَدْتُ بِهَا وَإِنْ لَمْ تُطَيَّبْ طَيِّبًا<sup>(١)</sup>  
وَأُنْشَدُ يَوْمًا:

أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعُبَّ      يَدِ بَيْنَ الْأَقْرَعِ وَعُيَيْنَةَ<sup>(٢)</sup>  
وقد كان عليه الصلاة والسلام ربَّما أنشد البيتَ المستقيم في النادر؛ روي أنه  
أنشد بيتَ ابنِ رُوَاحَةَ:

يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَن فِرَاشِهِ      إِذَا اسْتَنْقَلَتْ بِالْمَشْرِكِينَ الْمُضَاجِعُ<sup>(٣)</sup>  
وقال الحسن بن أبي الحسن: أنشد النبيُّ عليه الصلاة والسلام:

كَفَى بِالْإِسْلَامِ وَالشَّيْبِ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا

فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسولَ الله، إنما قال الشاعر:

هَرِيرَةٌ وَدُغٌّ إِنْ تَجَهَّزْتَ غَادِيَا      كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا  
فقال أبو بكر أو عمر: أشهدُ أنك رسولُ الله، يقولُ الله عز وجل: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ  
الشُّعْرَ وَمَا يَلْبِغِي لَهٗ عَظْمًا﴾<sup>(٤)</sup>.

وعن الخليل بن أحمد: كان الشُّعْرُ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْكَلَامِ،

(١) المحرر الوجيز ٤/٤٦١، والبيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ٤١، وأصله: وجدت بها طيباً وإن لم تُطَيَّب.

(٢) طبقات ابن سعد ٤/٢٧٢، ودلائل النبوة للبيهقي ٥/١٨١، والبيت للعباس بن مرداس وأصل البيت: بين عُيْنَةَ والأقْرَع، وسلف ١٠/٢٦٣. والكلام من المحرر الوجيز ٤/٤٦١.

(٣) المحرر الوجيز ٤/٤٦١. وينظر حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الذي سلف ١٤/١٣٠. وبيت عبد الله بن رُوَاحَةَ رضي الله عنه سلف ٦/٣٤٦.

(٤) أخرجه ابن سعد ١/٣٨٢ - ٣٨٣، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير عند هذه الآية. والبيت لسحيم عبد بني الحسحاس كما في شرح المفصل ٨/٩٣، والخزانة ١/٢٦٧، وفيهما: عميرة، بدل هريرة. وعجزه في كتاب سيبويه ٢/٢٦٦ و٤/٢٢٥.

ولكن [كان] لا يتأتى له<sup>(١)</sup>.

الثانية: إصابته الوزن أحياناً لا يُوجِبُ أنه يعلم الشعر، وكذلك ما يأتي أحياناً من نثر كلامه ما يدخل في وزن، كقوله يوم حنين وغيره:  
«هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت»<sup>(٢)</sup>  
وقوله:

«أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»<sup>(٣)</sup>

فقد يأتي مثل ذلك في آيات القرآن، وفي كل كلام، وليس كل ذلك شعراً ولا في معناه<sup>(٤)</sup>، كقوله تعالى: ﴿لَنْ نَسْأَلَكَ الْخَيْرَ حَقَّ تَفَقُّوا مِمَّا يُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، وقوله: ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف: ١٣]، وقوله: ﴿وَحِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ﴾ [سبا: ١٣] إلى غير ذلك من الآيات. وقد ذكر ابن العربي<sup>(٥)</sup> منها آيات وتكلم عليها وأخرجها عن الوزن، على أن أبا الحسن الأخفش قال في قوله: «أنا النبي لا كذب»: ليس بشعر. وقال الخليل في كتاب «العين»: إن ما جاء من السجع على جزءين لا يكون شعراً. ورُوي عنه: أنه من منهوك الرجز<sup>(٦)</sup>. وقد قيل: لا يكون من منهوك الرجز إلا بالوقف على الباء من قوله: «لا كذب»، ومن قوله: «عبد المطلب». ولم يُعلم كيف قاله النبي ﷺ. قال ابن العربي<sup>(٧)</sup>: والأظهر من حاله أنه قال: «لا كذب» [بتنوين] الباء مرفوعة، وبخفض الباء من عبد المطلب على الإضافة.

(١) الكشاف ٣/٣٢٩، وما بين حاصرتين منه.

(٢) أخرجه أحمد (١٨٧٩٧)، والبخاري (٢٨٠٢)، ومسلم (١٧٩٦) من حديث جندب البجليّ ؓ:

(٣) سلف ١٠/١٤٩.

(٤) المحرر الوجيز ٤/٤٦٢ دون ذكر البيت الأول.

(٥) في أحكام القرآن ٤/١٥٩٨ - ١٦٠١.

(٦) بنحوه في العين ٦/٦٤ - ٦٥. والكلام من أحكام القرآن لابن العربي ٤/١٦٠١.

(٧) في أحكام القرآن ٤/١٦٠٢، وما قبله وما سيرد بين حاصرتين منه.

وقال النحاس<sup>(١)</sup>: قال بعضهم: إنّما الرواية بالإعراب، وإذا كانت بالإعراب لم يكن شعراً؛ لأنه إذا فتح الباء من البيت الأوّل أو ضمّها أو نوّنها، وكسّر الباء من البيت الثاني، خرج عن وزن الشعر. وقال بعضهم: ليس هذا الوزن من الشعر. وهذا مكابرة العيان؛ لأنّ أشعار العرب على هذا قد رواها الخليل وغيره.

وأما قوله: «هل أنت إلاّ أصبغ دميّت» فقليل: إنّهُ من بحر السريع، وذلك لا يكون إلاّ إذا كُسر التاء من «دميت»، فإنّ سُكّن لا يكون شعراً بحال؛ لأنّ هاتين الكلمتين على هذه الصفة تكون فعول<sup>(٢)</sup>، ولا مدخل لفعول في بحر السريع. ولعل النبي ﷺ قالها ساكنة التاء، أو متحرّكة التاء من غير إشباع. والمعوّل عليه في الانفصال على تسليم أنّ هذا شعر، ويسقط الاعتراض، ولا يلزم منه أن يكون النبي ﷺ عالماً بالشعر ولا شاعراً. إنّ التمثّل بالبيت الندر وإصابة القافيتين من الرّجز وغيره لا يوجب أن يكون قائلها عالماً بالشعر، ولا يُسمّى شاعراً باتّفاق العلماء، كما أنّ مَنْ خاط خيطاً لا يكون خيطاً.

قال أبو إسحاق الزجاج<sup>(٣)</sup>: معنى «وما علّمناه الشعر»: وما علّمناه أن يشعُر، أي: ما جعلناه شاعراً، وهذا لا يمنع أن يُنشد شيئاً من الشعر. قال النحاس<sup>(٤)</sup>: وهذا من أحسن ما قيل في هذا. وقد قيل: إنّما خبّر الله عزّ وجلّ أنه ما علّمه الله الشعر، ولم يُخبر أنه لا ينشد شعراً، وهذا ظاهر الكلام. وقيل فيه قولٌ بيّن، زعم صاحبه أنه إجماعٌ من أهل اللغة، وذلك أنهم قالوا: كلُّ مَنْ قال قولاً موزوناً لا يقصدُ به إلى شعرٍ فليس بشعراً، وإنّما وافق الشعر. وهذا قولٌ بيّن.

(١) في إعراب القرآن ٣/٤٠٥.

(٢) في النسخ الخطية: لا تكون فعولاً، والمثبت من (م)، وهو الموافق لما في أحكام القرآن لابن العربي ١٦٠٢/٤، والكلام منه.

(٣) في معاني القرآن ٤/٢٩٤، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣/٤٠٥.

(٤) في إعراب القرآن ٣/٤٠٥.

قالوا: وإنما الذي نفاه الله عن نبيّه عليه الصلاة والسلام فهو العلمُ بالشعر وأصنافه، وأعارِضه وقوافيه، والاتّصافُ بقوله، ولم يكن موصوفاً بذلك بالاتفاق. ألا ترى أن قريشاً تراوَصَتْ فيما يقولون للعرب فيه إذا قَدِمُوا عليهم الموسمَ، فقال بعضهم: نقول إنه شاعرٌ. فقال أهل الفطنة منهم: والله لتكذّبناكم العربُ، فإنّهم يعرفون أصنافَ الشعر، فوالله ما يُشبه شيئاً منها، وما قوله بشعر. وقال أنيسٌ أخو أبي ذرٍّ: لقد وضعتُ قوله على أقرء الشعرِ فلم يلتئم أنه شعرٌ. أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>، وكان أنيسٌ من أشعرِ العرب. وكذلك قال عتبة بن ربيعةٍ لَمَّا كلّمه: والله ما هو بشعرٍ ولا كهانةٍ ولا سحرٍ، على ما يأتي من خبره في سورة فصلت<sup>(٢)</sup>، إن شاء الله تعالى. وكذلك قال غيرُهما من فُصحاء العربِ العَرَباءِ، واللّسنِ البُلغاءِ.

ثم إنَّ ما يجري على اللسان من موزون الكلام لا يُعدُّ شعراً، وإنّما يعدُّ منه ما يجري على وزن الشعر مع القَصْدِ إليه، فقد يقول القائل: حدّثنا شيخٌ لنا، وينادي: يا ضاحِبَ الكسائي<sup>(٣)</sup>، ولا يُعدُّ هذا شعراً. وقد كان رجلٌ ينادي في مرّضه وهو من عُرض العامّة العقلاء: اذهبوا بي إلى الطيب وقولوا قد اُكْتَوَى.

الثالثة: روى ابنُ القاسم عن مالكٍ أنّه سُئل عن إنشاد الشعرِ فقال: لا تُكثِرَنَّ منه، فَمِنَ عيبه أن الله يقول: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ قال: ولقد بلغني أنّ عمر بن الخطاب ؓ كتب إلى أبي موسى الأشعريّ: أن اجْمَعْ الشعراءَ قبلكَ وسلّمهم عن الشعر، وهل بقي معهم معرفة، وأخضِرْ لبيداً ذلك، قال: فجمعهم فسألهم فقالوا: إننا لَنَعْرِفُهُ ونقولُهُ، وسأل لبيداً فقال: ما قلتُ شعراً منذ سمعتُ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿الْعَرَّ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ١-٢].

قال ابن العربي<sup>(٤)</sup>: هذه الآية ليست من عيب الشعر، كما لم يكن قوله: ﴿وَمَا

(١) في صحيحه (٢٤٧٣)، وسلف ١/١١٦.

(٢) في أولها، وسلف ١/١١٦.

(٣) في أحكام القرآن لابن العربي ٤/١٦٠٣. والكلام منه: الكساء.

(٤) في أحكام القرآن ٤/١٦٠٣، وما قبله منه.

كُنْتَ تَسْتَلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُوا بِيَمِينِكُمْ ﴿٤٨﴾ [العنكبوت: ٤٨] من عيب الكتابة، فلما لم تكن الأمية من عيب الخط، كذلك لا يكون نفي النظم عن النبي ﷺ من عيب الشعر.

روي أن المأمون قال لأبي علي المنقري: بلغني أنك أُمِّي، وأنت لا تُقيم الشعر، وأنت تَلْحَنُ. فقال: يا أمير المؤمنين، أما اللحنُ فربما سبق لساني منه بشيء، وأما الأمية وكسر الشعر فقد كان رسول الله ﷺ لا يكتب ولا يُقيم الشعر. فقال له: سألتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتني رابعاً وهو الجهل! يا جاهل، إن ذلك كان للنبي ﷺ فضيلة، وهو فيك وفي أمثالك نقيصة. وإنما منع النبي ﷺ ذلك لنفي الظنة عنه، لا لعيب في الشعر والكتابة<sup>(١)</sup>.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَلْبِغِي لَهُ﴾ أي: وما ينبغي له أن يقوله. وجعل الله جلَّ وعزَّ ذلك علماً من أعلام نبيه عليه الصلاة والسلام؛ لئلا تدخل الشبهة على من أرسل إليه، فيظن أنه قوي على القرآن بما في طبعه من القوة على الشعر. ولا اعتراض لمُلجِدٍ على هذا بما يتفق الوزن فيه من القرآن وكلام الرسول؛ لأنَّ ما وافق وزنه وزن الشعر، ولم يُفصِّد به إلى الشعر، ليس بشعر، ولو كان شعراً لكان كلُّ من نطق بموزونٍ من العامة الذين لا يعرفون الوزن شاعراً، على ما تقدَّم بيانه.

وقال الزجاج<sup>(٢)</sup>: معنى ﴿وَمَا يَلْبِغِي لَهُ﴾ أي: ما يتسهَّل له قول الشعر، لا الإنشاد<sup>(٣)</sup>. ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: هذا الذي يتلوه عليكم ﴿إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿لَتُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ أي: حيِّ القلب؛ قاله قتادة. الضحَّاك: عاقلاً<sup>(٤)</sup>. وقيل: المعنى: لتُنذِرَ مَنْ كان مؤمناً في علم الله. هذا على قراءة التاء خطاباً

(١) العقد الفريد ٤٧٩/٢.

(٢) في معاني القرآن ٢٩٣/٤، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤٠٥/٣.

(٣) في (م): الإنشاء.

(٤) أخرج القولين الطبري ٤٨١/١٩.

للنبي عليه الصلاة والسلام، وهي قراءة نافع وابن عامر. وقرأ الباقون بالياء<sup>(١)</sup>، على معنى: لِيُنذِرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، أو لِيُنذِرَ مُحَمَّدٌ ﷺ، أو لِيُنذِرَ الْقُرْآنُ. وروي عن ابن السَّمِيعِ: «لِيُنذِرَ» بفتح الياء والذال<sup>(٢)</sup>. ﴿وَيَحْيَى الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي: وَتَجِبَ الْحُجَّةُ بِالْقُرْآنِ عَلَى الْكَافِرَةِ.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيئَانَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلَائِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ﴾ هذه رؤية القلب، أي: أَوْلَمْ يَنْظُرُوا وَيَعْتَبِرُوا وَيَتَفَكَّرُوا. ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيئَانَا﴾ أي: مما أبدأعناه وَعَمِلْنَاهُ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ وَلَا وَكَالَةٍ وَلَا شَرِكَةٍ. و«ما» بمعنى الذي، وحذفت الهاء لطول الاسم. وإن جَعَلْتَ «ما» مصدرية لم تَحْتَجْ إِلَى إِضْمَارِ الْهَاءِ.

﴿أَنْعَمًا﴾ جمع نَعَمٍ، وَالنَّعَمُ مَذْكَرٌ. ﴿فَهُمْ لَهَا مَلَائِكُونَ﴾: ضابطون قاهرون. ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ أي: سَخَّرْنَاهَا لَهُمْ، حَتَّى يَقُودَ الصَّبِيُّ الْجَمَلَ الْعَظِيمَ وَيَضْرِبُهُ وَيَصْرِفُهُ كَيْفَ شَاءَ لَا يَخْرُجُ مِنْ طَاعَتِهِ.

﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ قراءة العامة بفتح الراء، أي: مَرْكُوبُهُمْ، كَمَا يُقَالُ: نَاقَةٌ حَلُوبٌ، أي: محلوب. وقرأ الأعمش والحسن وابن السَّمِيعِ: «فَمِنْهَا رُكُوبُهُمْ» بضم الراء على المصدر<sup>(٣)</sup>. وروي عن عائشة أنها قرأت: «فَمِنْهَا رُكُوبُهُمْ»<sup>(٤)</sup> وكذا في مُضْحَفِهَا<sup>(٥)</sup>.

(١) السبعة ص ٥٤٤، والتيسير ص ١٨٥.

(٢) المحرر الوجيز ٤/٤٦٢، والبحر ٧/٣٤٦، قال أبو حيان: هو مضارع نَذَرَ بكسر الذال إذا علم بالشيء فاستعد له. وفيهما عن ابن السميع أيضاً أنه قرأ: «لِيُنذِرَ» بضم الياء وفتح الذال.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٢٦، والمحتسب ٢/٢١٦.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/٣٨١، والقراءات الشاذة ص ١٢٦، والمحتسب ٢/٢١٦، وإعراب القرآن للنحاس ٣/٤٠٦.

(٥) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ١٨٢ عن عروة بن الزبير.

والرَّكُوبُ والرَّكُوبَةُ واحدٌ، مثل: الحَلُوب والحَلُوبَةُ، والحَمُولُ الحَمُولَةُ. وحكى النحويون الكوفيون أنَّ العرب تقول: امرأةٌ صبورٌ وشكورٌ بغير هاء. ويقولون: شاةٌ حَلُوبَةٌ، وناقَةٌ رَكُوبَةٌ؛ لأنَّهم أرادوا أن يفرِّقوا بين ما كان له الفعلُ، وبين ما كان الفعلُ واقعاً عليه، فحذفوا الهاء ممَّا كان فاعلاً وأثبتوها فيما كان مفعولاً، كما قال:

فيها اثنتانِ وأربعونَ حَلُوبَةً      سوداً كخافيةِ الغرابِ الأَسْحَمِ<sup>(١)</sup>

فيجب أن يكون على هذا: رَكُوبَتُهُمْ. فأما البصريون فيقولون: حُذفتِ الهاءُ على النسب. والحجَّةُ للقول الأول ما رواه الجَرَمِيُّ عن أبي عبيدة قال: الرَّكُوبَةُ تكون للواحدِ والجماعة، والرَّكُوب لا يكون إلا للجماعة. فعلى هذا يكون لتذكير الجمع. وزعم أبو حاتم أنه لا يجوز: «فَمِنْهَا رُكُوبُهُمْ» بضمِّ الراءِ لأنَّه مصدرٌ، والرَّكُوب ما يُركب. وأجاز الفراء<sup>(٢)</sup>: «فَمِنْهَا رُكُوبُهُمْ» بضمِّ الراءِ، كما تقول: فَمِنْهَا أَكْلُهُمْ ومنها شُرْبُهُمْ.

﴿وَمِنْهَا يَأْكُونَ﴾ مِنْ لَحْمَانِهَا ﴿وَكَلَّمَتْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ من أصوافها وأوبارها وأشعارها وشحومها ولحومها وغير ذلك. ﴿وَمَشَارِبٌ﴾ يعني ألبانها، ولم يَنْصَرِفَا لأنَّهما من الجمع التي لا نظير لها في الواحد [ولا يُجْمَعُ]<sup>(٣)</sup>. ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ الله على نِعَمِهِ.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٥﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُنْحَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَخْزُوكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾ أي: قد رأوا هذه الآيات من قُدْرَتنا، ثم اتَّخَذُوا مِنْ دُونِنا آلِهَةً لا قدرة لها على فعلٍ. ﴿لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ أي: لِمَا يرجون من

(١) البيت لعنترة، وهو في ديوانه ص ١٧، وسلف ١١٨/٥، والكلام من إعراب القرآن للنحاس ٤٠٦/٣.

(٢) في معاني القرآن ٣٨١/٢، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٤٠٧/٣.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤٠٧/٣، وما بين حاصرتين منه.

نُضِرَتْهَا لَهُمْ إِنْ نَزَلَ بِهِمْ عَذَابٌ. وَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ: لَعَلَّهُ أَنْ يَفْعَلَ.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ يعني الآلهة. وجمَعوا بالواو والنون؛ لأنه أخبر عنهم بخبر  
الآدميين. ﴿وَهُمْ﴾ يعني الكفار ﴿لَهُمْ﴾ أي: للآلهة، ﴿جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾ قال الحسن:  
يمنعون منهم ويدفعون عنهم<sup>(١)</sup>. وقال قتادة: أي: يغضبون لهم في الدنيا<sup>(٢)</sup>. وقيل:  
المعنى أنهم يعبدون الآلهة ويقومون بها؛ فهم لها بمنزلة الجند، وهي لا تستطيع أن  
تنصرهم. وهذه الأقوال الثلاثة متقاربة المعنى. وقيل: إن الآلهة جندٌ للعابدين  
محضرون معهم في النار، فلا يدفع بعضهم عن بعض. وقيل: معناه: وهذه الأصنام  
لهؤلاء الكفار جندٌ الله عليهم في جهنم؛ لأنهم يلعنونهم ويتبرؤون من عبادتهم.  
وقيل: الآلهة جندٌ لهم محضرون يوم القيامة لإعانتهم في ظنونهم.

وفي الخبر: إنه يمثل لكل قوم ما كانوا يعبدونه في الدنيا من دون الله، فيتبعونه  
إلى النار؛ فهم لهم جند محضرون.

قلت: ومعنى هذا الخبر ما ثبت في «صحيح» مسلم<sup>(٣)</sup> من حديث أبي هريرة،  
وفي الترمذي عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ،  
ثُمَّ يَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَقُولُ: أَلَا لَيْتَبَعُ كُلُّ إِنْسَانٍ مَا كَانَ يَعْبُدُ، فَيُمَثِّلُ لِصَاحِبِ  
الصَّلِيبِ صَلِيْبِيهِ، وَلِصَاحِبِ التَّصَاوِيرِ تَصَاوِيرُهُ، وَلِصَاحِبِ النَّارِ نَارُهُ، فَيَتَّبِعُونَ مَا كَانُوا  
يَعْبُدُونَ، وَيَبْقَى الْمُسْلِمُونَ» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطَوْلِهِ<sup>(٤)</sup>.

﴿فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ هذه اللغة الفصيحة، ومن العرب من يقول: يُحْزِنُكَ<sup>(٥)</sup>.

والمراد تسليته نبيه عليه الصلاة والسلام، أي: لا يحزنك قولهم: شاعر، ساحر.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤٠٧/٣، وأخرجه بنحوه ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر  
المثور ٢٦٩/٥.

(٢) أخرجه الطبري ٤٨٥/١٩.

(٣) برقم (١٨٢) مطولاً، وسلف ٤٠٨/١٢.

(٤) سنن الترمذي (٢٥٥٧)، وقال: حسن صحيح. وسلف ٤٠٨/١٢ - ٤٠٩.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤٠٧/٣.

وتمَّ الكلامُ، ثم استأنف فقال: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُيْرُونَ﴾ من القول والعمل وما يُظهرون، فنجازيهم بذلك.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾  
قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ﴾ قال ابن عباس: الإنسان هو عبدُ الله بن أبيي<sup>(١)</sup>.  
وقال سعيد بن جبیر: هو العاصُ بنُ وائل السَّهمي<sup>(٢)</sup>. وقال الحسن: هو أميةُ بن خلف<sup>(٣)</sup>. وقال مجاهدٌ وقتادة<sup>(٤)</sup>: هو أبيي بن خلف الجُمحي<sup>(٥)</sup>. وقاله ابن إسحاق، ورواه ابن وهب عن مالك<sup>(٦)</sup>.

﴿أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ وهو اليسيرُ من الماء، نطف: إذا قطر. ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ أي: مُجادِلٌ في الخصومة مُبينٌ للحجة. يريد بذلك أنه صار بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً خصيماً مبيناً. وذلك أنه أتى النبي ﷺ بعظم حائلٍ فقال: يا محمد، أتري أن الله يُحيي هذا بعد ما رمَّ! فقال النبي ﷺ: «نعم، ويبعثك الله ويدخلك النار» فنزلت هذه الآية<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾  
قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾

(١) أخرجه الطبري ٤٨٧/١٩. قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: هذا منكر؛ لأن السورة مكية، وعبد الله ابن أبيي ابن سلول إنما كان بالمدينة. وقال ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/٤٦٤: وهو وهم ممن نسبه لابن عباس؛ لأن السورة والآية مكية بإجماع، ولأن عبد الله بن أبيي لم يجاهر قط هذه المجاهرة.

(٢) أخرجه الطبري ٤٨٧/١٩.

(٣) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/٤٦٣، ونسبه أيضاً لمجاهد وقتادة.

(٤) من قوله: هو أمية... إلى هذا الموضع، ليس في (م).

(٥) أخرجه عنهما الطبري ٤٨٦/١٩، وأخرجه عن قتادة أيضاً عبد الرزاق ٢/١٤٦. وقال ابن الجوزي في زاد المسير ٤١/٧: وعليه المفسرون.

(٦) المحرر الوجيز ٤/٤٦٤. وقول ابن إسحاق ذكره ابن هشام في السيرة ١/٣٦١ - ٣٦٢.

(٧) أخرجه عبد الرزاق ٢/١٤٦، والطبري ٤٨٦/١٩ عن قتادة. وينظر الدر المنثور ٥/٢٧١ - ٢٧٢.

## فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ أي: ونسي أننا أنشأناه من نطفة ميتة، فركبتنا فيه الحياة. أي: جوابه من نفسه حاضر؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «نعم، يُحييك»<sup>(١)</sup> الله ويدخلك النار» ففي هذا دليل على صحة القياس؛ لأن الله جلَّ وعزَّ احتجَّ على مُنكري البعثِ بالنشأة الأولى.

﴿قَالَ مَنْ يُعْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ أي: بالية. رمَّ العظمُ فهو رَمِيمٌ ورُمَام. وإنما قال: رميم، ولم يقل: رميمة؛ لأنها معدولة عن فاعلة، وما كان معدولاً عن وجهه ووزنه كان مصروفاً عن إعرابه<sup>(٢)</sup>، كقوله: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا﴾ [مریم: ٢٨] أسقط الهاء؛ لأنها مصروفة عن باغية.

وقيل: إن هذا الكافر قال للنبي ﷺ: أرايت إن سحقتها وأذريتُها في الريح، أيعيدها الله! فنزلت: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: من غير شيء، فهو قادرٌ على إعادتها في النشأة الثانية من شيء، وهو عَجْمُ الذَّنْبِ. ويقال: عَجِبُ الذَّنْبِ بالباء. ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ أي: كيف يُبدئُ ويُعيد.

الثانية: في هذه الآية دليلٌ على أن في العظام حياة، وأنها تنجسُ بالموت. وهو قولُ أبي حنيفةٍ وبعضِ أصحابِ الشافعيِّ. وقال الشافعيُّ ﷺ: لا حياة فيها<sup>(٣)</sup>. وقد تقدّم هذا في «النحل»<sup>(٤)</sup>.

فإن قيل: أراد بقوله: ﴿مَنْ يُعْيِي الْعِظَمَ﴾ أصحابِ العظام، وإقامة المضافِ مُقَامَ

(١) في (م): وبيعتك.

(٢) في تفسير البغوي ٢٠/٤ (والكلام منه): أخواته، بدل: إعرابه.

(٣) بنحوه في أحكام القرآن للكميا الطبري ٣/٣٥٥، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/١٦٠٤.

(٤) ٣٩٥/١٢ - ٣٩٧، ولكنه ذكر ثمة عن أبي حنيفة قوله بطهارة القرن والسن والعظم، وأنها لا تنجس بموت الحيوان، وهذا يوافق ما ذكره الجصاص في أحكام القرآن ٣/٣٧٦، والزمخشري في الكشاف

المضاف إليه كثير في اللغة، موجود في الشريعة.

قلنا: إنما يكون [ذلك] إذا احتيج [إليه] لضرورة، وليس هاهنا ضرورة تدعو إلى هذا الإضمار، ولا يفتقر إلى هذا التقدير، إذ الباري سبحانه قد أخبر به وهو قادر عليه، والحقيقة تشهد له؛ فإن الإحساس الذي هو علامة الحياة موجود فيه؛ قاله ابن العربي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٥﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٧﴾ فَسَبِّحْنَا الَّذِي فِي يَدَيْهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ نبه تعالى على وحدانيته، ودل على كمال قدرته في إحياء الموتى، بما يشاهدونه من إخراج المحرق اليابس من العود الندي الرطب. وذلك أن الكافر قال: النطفة حارة رطبة بطبع الحياة، فخرج منها الحياة، والعظم بارد يابس بطبع الموت، فكيف تخرج منه الحياة! فأنزل الله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ أي: إن الشجر الأخضر من الماء، والماء بارد رطب ضد النار، وهما لا يجتمعان، فأخرج الله منه النار، فهو القادر على إخراج الضد من الضد، وهو على كل شيء قدير. ويعني بالآية ما في المرخ والعقار، وهي زنادة العرب؛ ومنه قولهم: في كل شجر نار واستمجد المرخ والعقار<sup>(٢)</sup>؛ فالعقار الزند، وهو الأعلى، والمرخ الزندة، وهي الأسفل؛ يؤخذ منهما غصنان مثل

(١) في أحكام القرآن ٤/١٦٠٤ وما سلف بين حاصرتين منه.

(٢) جمهرة الأمثال ٢/٩٢، ومجمع الأمثال ٢/٧٤، والمستقصى ٢/١٨٣، والكشاف ٣/٣٣٢. قال العسكري: يضرب في تفضيل الرجال بعضهم على بعض، أي: لكل واحد من هؤلاء فضل، إلا أن فلانا أفضل.

المسواكِين<sup>(١)</sup> يقطران ماءً، فَيُحَكُّ بَعْضُهُمَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَخْرُجُ مِنْهُمَا النَّارُ.

وقال: «مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ» ولم يقل: الخضراء، وهو جمع؛ لأنه رَدَّه إلى اللَّفْظِ. وَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ: الشَّجَرُ الْخَضْرَاءُ؛ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مِنَ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ قَائِلُونَ بِهَا الْبَطُونَ﴾ [الواقعة: ٥٢-٥٣]<sup>(٢)</sup>.

ثم قال تعالى محتجاً: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ أي: أمثال المُتَكَبِّرِينَ للبعث. وقرأ سلام أبو المنذر ويعقوب الحضرمي<sup>(٣)</sup>: «يَقْدِرُ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ» على أنه فعل. ﴿بَلَى﴾ أي: إنَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَعْظَمُ مِنْ خَلْقِهِمْ، فَالَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقْدِرُ عَلَيَّ أَنْ يَبْعَثَهُمْ. ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ وقرأ الحسن باختلافٍ عنه: «الْخَالِقُ»<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ قرأ الكسائي «فَيَكُونُ» بالنصب<sup>(٥)</sup> عطفاً على «يقول»، أي: إذا أراد خَلَقَ شَيْءًا، لا يحتاج إلى تعبٍ ومُعَالَجَةٍ. وقد مضى هذا في غير موضع.

﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي فِي يَدَيْهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ نَزَّهَ نَفْسَهُ تَعَالَى عَنِ الْعِجْزِ وَالشَّرِّ. وَمَلَكُوتٌ وَمَلَكُوتِي فِي كَلَامِ الْعَرَبِ بِمَعْنَى مَلِكٍ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ: جَبَرَوْتِي خَيْرٌ مِنْ رَحْمَوْتِي. وَقَالَ سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ: «مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ»: مَفَاتِحُ كُلِّ شَيْءٍ<sup>(٦)</sup>.

وقرأ طلحة بن مصرف وإبراهيم التيمي والأعمش: «مَلَكَةُ»<sup>(٧)</sup>، وهو بمعنى

(١) في (خ): السواكين.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤٠٨/٣.

(٣) في رواية رويس عنه. النشر ٣٥٥/٢.

(٤) القراءات الشاذة ص ١٢٦.

(٥) وقرأ بها ابن عامر أيضاً. التيسير ص ١٣٧.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٤٠٨/٣.

(٧) المحتسب ٢١٧/٢.

ملكوت؛ إلا أنه خلاف المصحف. ﴿وَالَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: تُردُّون وتَصيرون بعد مماتكم. وقراءة العامة بالتاء على الخطاب. وقرأ السلمي وزر بن حبيش وأصحاب عبد الله: «يرجعون» بالياء على الخبر.

تم الجزء السابع عشر من تفسير القرطبي  
ويليه الجزء الثامن عشر ويبدأ بسورة الصافات